

Lost texts in Islamic heritage

-Missing texts from the interpretation of Ibn al-Naqib al-Maqdisi (d. 698 AH)-



Received: 19/04/2024; Accepted: 02/06/2024

Hadj BENAIED*

university of Mouloud Maamari, Tizi-ouzou (Algeria), email: hbennaired@gmail.com

النصوص المفقودة في التراث الإسلامي -نصوص مفقودة من تفسير ابن النقيب المقدسي (ت698هـ)-

الكلمات المفتاحية:

نصوص مفقودة؛
تفسير ابن النقيب؛
استخراج؛
تحقيق؛
نشر.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى جمع نصوص مفقودة من التراث الإسلامي، واستخراجها وتحققها ونشرها، مع فقدان أصولها المخطوطة، عن طريق اعتماد آليات تحقيق قديمة-مستجدة، تنتهج التتبع والاستقراء لاستخراجها، فقد وردت تلك النصوص مقتبسة بالفاظها وعباراتها في كتب محققة منشورة، أو وردت بتصريف المؤلف فيها بالحذف والاختصار والتحرير، وفي هذا الصدد وقفنا على نصوص كثيرة لتفسير مفقود من القرن السابع الهجري، وهو تفسير (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) للعلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب (ت698هـ)؛ بلغ نحو من مائة جزء؛ غلب عليه التفسير اللغوي والبلاغي؛ وهو في حكم المفقود لم ينج منه سوى بعض القطع؛ وقد عثرنا على تلك النصوص المفقودة مقتبسة في تفسير متداول مشهور؛ وهو تفسير (البحر المحيط) لتلميذه أبي حيان الأندلسي (ت745هـ)؛ حيث اقتبس منه ما يناهز الثمانين نصاً، توزعت تلك النصوص بين أجزاء تفسير (البحر المحيط)، وكانت في معظمها منقولة بلفظها وعباراتها، وفي مواضع بتصريف أبي حيان حذفاً واختصاراً وإشارة، وهو ما جعلنا نميز بين تلك النصوص لتحقيقها وجمعها ونشرها من خلال هذا البحث.

Abstract

This research aims to collect lost texts from the Islamic heritage, extract them, verify and publish them, with the loss of their manuscript origins, by adopting old-new investigative mechanisms that employ tracking and extrapolation to extract them. These texts were cited, with their words and phrases, in published books, or It was mentioned in the author's manner by deleting, abbreviating, and abbreviating it. In this regard, we came across many texts of a lost interpretation from the seventh century AH, which is the interpretation of (Al-Tahrir wa Al-Tahbir fi the sayings of the imams of interpretation on the meanings of the words of the All-Hearing and All-Seeing) by the scholar Jamal al-Din Abi Abdullah Muhammad bin Suleiman al-Maqdisi, known as Ibn al-Naqib Ibn al-Naqib (T. 698 AH); It amounted to about one hundred parts; It was dominated by linguistic and rhetorical interpretation. It is considered lost, with only a few pieces surviving. We found these missing texts quoted in a popular interpretation. It is an interpretation of (Al-Bahr Al-Muhit) by his student Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH); Nearly eighty texts were quoted from it. These texts were distributed among the parts of the interpretation of (Al-Bahr Al-Muhit), and most of them were quoted verbally and in their expressions, and in some places they were modified by Abu Hayyan by deletion, abbreviation, and allusion, which is what made us distinguish between those texts in order to investigate, collect, and publish them through this research.

Keywords:

missing texts ;
interpretation of
Ibn al-Naqib ;
investigation ;
publication ;
extraction .

* Corresponding author: hadj.bennaired@ummto.dz

Doi:

I - مقدمة

لقد ضاعت الكثير من الكتب في التراث الإسلامي؛ لأسباب مختلفة كالحروب، والخلافات المذهبية، والحملات الأجنبية، وأحياناً بأيدي المسلمين أنفسهم بسبب الجهل بقيمة ذلك التراث، أو بسبب الخلافات المذهبية وحتى الشخصية، فأحرق الكثير منها وأتلفت بعوامل طبيعية وبشرية، لكن تبقى نكبة بغداد على يد التتار سنة 656هـ من أشد هذه الأزمات على الكتب والمخطوطات بإحراقها وإتلافها، على نحو لم يعرف له مثيل، وحدث نحو ذلك مراراً وتكراراً، ومنها في الأندلس عقب ما عُرف بحروب الاسترجاع، بل قد وجدوا في غير ما مكان شرقاً وغرباً بعض البيوت والقصور بُنيت بتلك المخطوطات، وصار جزء كبير منها في حكم المفقود، وصارت نصوصها نادرة؛ ينبغي أن يتوجه اهتمام الباحثين إلى البحث عنها تحقيقاً ونشراً ودراسة، وذلك ما يفسره الموسوعات الضخمة التي جاءت في أعقاب القرن السابع الهجري في مختلف العلوم والفنون؛ حيث اختص هذا النوع من التأليف في جمع وإعادة نسخ لأمّهات الكتب في كلّ فنٍّ أو علم من العلوم، وفي هذا الصدد وقفنا على كتاب (التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير) لابن النقيب المقدسي (ت698هـ)؛ تفسير ضخم في حكم المفقود، يُعدّ من أوسع كتب التفسير في التراث الإسلامي؛ بلغ ما يناهز مائة مجلد، ذكروا أنّه جمعه من نحو خمسين تفسيراً فضلاً عن كتب القراءات واللغة والنحو والبلاغة والكلام والفقه ونحوها، ولذا نعتقد أنّه يحتوي نصوصاً نادرة من كتب مفقودة، أو مروياته ومسموعاته التي ضمّنها في تفسيره، أو من حيث فهمه الخاص وتوجيهاته للمعاني.

لم يبق من تفسير (التحرير والتحرير) إلاّ قطعاً وأجزاء متناثرة هنا وهناك، حُقق بعضها وبعضها في طور التحقيق في جامعة أمّ القرى، لكن بضمّها إلى بعضها البعض لا يبلغ إلاّ جزءاً يسيراً من مجمل التفسير الكبير، ولذلك لا ينبغي الاكتفاء بتلك الأجزاء فقط، وإنّما ينبغي البحث في المظانّ التي نقلت نصوصاً منه، ولا شكّ أنّ أقرب التفسير إلى تفسير ابن النقيب (ت698هـ) هو تفسير (البحر المحيط) لتلميذه أبي حيان الأندلسي (ت745هـ)؛ فقد اعتمد عليه وجعله عمدة مصادره، وأثنى عليه، وعليه فإنّنا نعتبر نصوص تفسير ابن النقيب التي نقلها تلميذه أبو حيان من النصوص النادرة، بعضها موجود في الأجزاء التي تمّ العثور عليها من تفسير ابن النقيب، وبعضها لا يوجد إلاّ في تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان.

يحاول هذا البحث جمع نصوص نظراً أنّها نادرة وفي حكم المفقود مع ترتيبها من تفسير (التحرير والتحرير) لابن النقيب المقدسي (ت698هـ)؛ والتي وقفنا عليها في تفسير (البحر المحيط) لتلميذه أبي حيان (ت745هـ)، وقد عثرت على سبعة وسبعين موضعاً فيه نصوص ابن النقيب؛ اختلفت طولاً وقصراً، ونقلاً وحرفياً وتلخيصاً، وقد رأينا ترتيبها وفقاً لترتيب سور القرآن الكريم ليسهل الإفادة منها لتحقيق التفسير المذكور، كما اعتمدت منهجيتنا على الاكتفاء بمنصوص كلام ابن النقيب إذا كان المعنى تاماً، وقد نقل شيئاً من كلام أبي حيان الذي تضمّنه نصّ ابن النقيب في حال كان المعنى لا يتمّ إلاّ به.

- الإشكالية:

- ما جدوى البحث عن نصوص مفقودة؟ وهل يمكننا فعلاً إيجادها؟ وكيف نبحث عنها؟ وهل يمكن تحقيقها ونشرها؟
- ما مدى مساهمة البحث في نصوص مشهورة للعثور على نصوص مفقودة؟
- هل يمكن إيجاد نصوص مفقودة من تفسير ابن النقيب (ت698هـ) اعتماداً على تفسير (البحر المحيط) لتلميذه أبي حيان الأندلسي (ت745هـ)؟

- **الفرضية:** افتراضنا وجود نصوص نادرة أصولها في حكم المفقود، يمكن استخراج بعضها من خلال الكتب التي اقتبست منها، وهي متاحة محققة، وبذلك يمكن اعتبار كتب التراث المحققة القريبة العهد من تلك الكتب المفقودة، وهذا نظرياً ممكن جداً، نحاول تطبيقه على تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان (ت745هـ) لاستخراج بعض نصوص تفسير ابن النقيب المفقودة.

- **المنهجية:** اعتمدنا على منهج التتبع والاستقراء، وذلك بتتبع تلك اقتباسات أبي حيان من تفسير ابن النقيب المفقود، ومن ثمة استخراجها وإعادة ترتيبها، وتحقيقها ونشرها من خلال هذا البحث.

- **خطة البحث:** رتّب هذا البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث:

- التعريف بابن النقيب.

- التعريف بتفسيره (التحرير والتحرير).

- نصوص من تفسير ابن النقيب المفقود.

- **أولاً: التعريف بابن النقيب(1):**

1. **اسمه ونسبه:** هو جمال الدّين أبو عبد الله محمّد بن سلّيمان بن الحسن بن الحسين البلخي الأصل المُقدّسي الحنفيّ المَعزُوف بابن النقيب، ولد سنة 611هـ بالقدس، انتقل إلى القاهرة ودرّس بالعاشورية ثم تركها، وأقام بالجامع الأزهر، وقد صرف همه أكثر دهره إلى التفسير؛ وصنف فيه كتاباً حافلاً، جمع فيه خمسين تصنيفاً بلغ تسعاً وتسعين مجلدة، وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن، قيل إنه في خمسين مجلدة(2)، ثم عاد إلى القدس، فتوفي بها في المحرم سنة 698هـ(3). كان ابن النقيب صالحاً زاهداً متواضعاً عديم التكلف، أنكر على الشجاعي إنكاراً تاماً، بحيث

إنه هابه وطلب رضاه. وكان الأكابر يترددون إليه ويلتمسون منه الدعاء. وله نظم وصفه أبو حيان بالمتوسط؛ فقال: "وَكَانَ فِيهِ فَضِيلَةٌ أَدَبٍ، وَلَهُ نَثْرٌ وَنَظْمٌ مُتَوَسِّطٌ" (4). أخذ عن ابن المخلبي (ت642هـ)، وعنه الشمس الذهبي (5).

2. مؤلفاته:

- من تصانيفه التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير في خمسين مجلداً (6)، وسيأتي تفصيله.

- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدیع وإعجاز القرآن؛ والمطبوع خطأ بعنوان (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) لابن قيم الجوزية، وقد نُشر بتصحيح محمد بدر الدين النعساني سنة 1327هـ بمطبعة السعادة بمصر، قال د. زكريا سعيد علي: "ما نُشر تحت عنوان "الفوائد المشوق"، أو "كنوز العرفان" منسوباً إلى الإمام ابن قيم الجوزية هو في حقيقته مقدمة الشيخ ابن النقيب في علوم البلاغة، التي جعلها أمام تفسيره الكبير للقرآن الكريم"، وقد نُشر بغير مقدمة تحقيق ولا وصف للنسخ المخطوطة، ونظراً أن تحقيق زكريا سعيد علي هو إعادة نشر لطبعة محمد بدر الدين النعساني لتطابقهما، ويؤيد ذلك إشارته في بعض الهوامش إلى اعتماده عليه، كما في قوله في أحدها نقلاً عن محمد بدر الدين النعساني في هامشه: "الآية وبعدها القسم السادس ساقط من الأصل المخطوط الذي أخرجت عليه المطبوعة نصّ على ذلك مصححها" (7)، مع وضع حواش عليه وتعليقات جمّة، ووضع الفهارس الفنية، كما أجاد بتخصيص فهرس للتبليغات والفوائد على ابن النقيب، كالأوهام والأخطاء والتصحيحات والتحريفات ونحوها (8).

وقد رتب ابن النقيب على مقدّمة في الكلام على الفصاحة والبلاغة، ومقدّمة في الحقيقة والمجاز في أربعة وعشرين قسماً، والقرن الأول من المعاني وجعله أربعة وثمانين قسماً، والقرن الثاني يتعلّق بالألفاظ من الفصاحة وفيه أربعة وعشرون قسماً، وينبّه في كلّ منها عمّا ليس موجوداً في القرآن الكريم، وآخر من حقّه التقديم ونبّه على ذلك عند حديثه عن ألفاظ القرآن، السورة، الآية، الكلمة، الحرف، ثمّ ختم بذكر في فصل في إعجاز القرآن العظيم وعقّب بفصل حول مذهب القاضي عياض في إعجاز القرآن، وإعجاز القرآن والصرف، وإعجاز قصار السور .. وما إلى ذلك. ويتدرّج ابن النقيب في عمله بالتعريف بالقسم، مع بيان الوجوه في كلّ منها إن وجدت؛ كقسم التشبيه مثلاً (9)، ويبدو أنّها طريقتة في التأليف، ثمّ يستشهد ابن النقيب بالآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وبأشعار العرب، والكتاب يستحقّ دراسة مستقلة.

- فوائد من التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير وهو متوفر بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (395 مجاميع) 14479 في التفسير من صفحة 62 - 93.

- قصيدة منهاج العارف المتقى ومعراج السالك المرتقى وصفها الداودي بأنها طويلة جداً تدخل في أربعين ورقة.

- ثانياً: تفسير (التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير):

1. موضوعه: عُرف ابن النقيب بتفسيره هذا واشتهر به، فقد حلّاه محيي الدين الحنفي (ت775هـ) بصاحب التفسير (10). اختلف أصحاب التراجم والفهارس في عدد أجزائه؛ فقال البغدادي في (هدية العارفين): "من تصانيفه التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير في خمسين مجلداً" (11)، وقال المقرئ في سبعين مجلدة (2). (12) وصفه الغزي بأنّه تفسير كبير العجيب في أزيد من خمسين مجلداً توفي سنة 698هـ (13). وفي معجم شيوخ الذهبي: "وقد ألف تفسيراً كبيراً إلى الغاية يكون في تسعة وتسعين مجلداً، استوعب القراءات وأسباب النزول والإعراب وأقوال المفسرين وأقوال الصوفية وخصائصهم" (14)، بينما ذكر السيوطي أنه رأى قطعة منه، وقال بأنّ "تفسيره مشهور في نحو مائة مجلد" (15)، وفي (الموسوعة القرآنية): "له تفسير في نحو مائة مجلد" (16)، ووصفه ابن كثير بقوله: "وَكَانَ شَيْخاً قَاضِلاً فِي التَّفْسِيرِ، وَلَهُ فِيهِ مُصَنَّفٌ حَافِلٌ كَبِيرٌ، جَمَعَ فِيهِ خَمْسِينَ مُصَنِّفاً مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقْصِدُونَ زِيَارَتَهُ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَيَنْبَرِّكُونَ بِهِ" (17). وفي (هدية العارفين): "من تصانيفه التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير في خمسين مجلداً" (18). وفي (كشف الظنون): "التحرير والتحرير، لأقوال أئمة التفسير، في معاني كلام السميع البصير"، وهو تفسير كبير للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان، المعروف بابن النقيب المقدسي الحنفي المتوفى سنة ثمان وتسعين وستمائة، وهو: كبير في نيف وخمسين مجلداً، وقد اعتنى به ما لم يعتن بغيره. ذكره الشعرائي، وقال: ما طالعت أوسع منه" (19). وفي (معجم المؤلفين): "من آثاره: تفسير القرآن جمع فيه خمسين مصنفاً في 99 مجلداً" (20)، وفي (الأعلام): "له (تفسير) كبير حافل، سماه (التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير) قال المقرئ في سبعين مجلدة" (21). وقال البقاعي في (نظم الدرر): "وبعد أو وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أنّ تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين مجلداً يذكر فيه المناسبات، وفي خزنة جامع الحاكم كثير منه فطلبت منه جزءاً فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها وإلى القصص لا جميع آياتها .." (22).

وأشار إليه السيوطي في (المهذب): "ثمّ رأيت ابن النقيب صرّح بذلك في تفسيره" (23)، ويقصد احتواء القرآن الكريم على كلّ لسان. وذكر حسين الجبراني أنّه "صرف دهره في التفسير وصنف فيه كتاباً حافلاً جمع فيه نقولاً من خمسين مصنفًا

أسماء: "التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"، وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن، قيل أنه في خمسين مجلداً أو في مائة مجلد⁽²⁴⁾.

نعتقد أن أبا حيان أقرب من اطلع على تفسير أبي حيان؛ لأنه أجاز به نفسه وكان من تلامذته، وعليه فما ذكره أبو حيان من أن عدد أجزاءه نحو مائة مجلد هو أقرب للصواب، وأيضا النصوص التي نقلها في تفسيره من ابن النقيب أكثر موثوقية. والتحقق أن عدد أجزاءه نحو مائة مجلد، والله تعالى أعلم.

2. نسخته: توجد قطعة باقية منه بمكتبة الفاتح بتركيا من سورة المدثر حتى آخر القرآن الكريم، وعنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وبالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية جزء آخر يشتمل على تفسيره سورة الشعراء والنمل والقصص، وقام معهد المخطوطات العربية بالكويت باستنساخ نسخة منه. وله نسخة بمكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم الحفظ 71، عن فاتح 177، ونسخة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، رقم الحفظ 220، من أول الكتاب إلى أثناء الآية 43 من سورة البقرة، وقد كُتب في القرن العاشر تقديراً، ولكنها مبتورة الأول والآخر. وبدايته: "الحمد لله الذي كشف عن قلوب أهل العلم ظلمات الجهل المدهمة وطهرها من أدناس الرين وأجناس الريب وملأها إيماناً وحكمة وأمدّها بنور الإلهام وضيء الأفهام فعلمت علمه وأحكمت حكمه .. وبعد فإن الله تفضل على هذه الأمة أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس سكارى".

وقد حقق سليمان بن عبد الله القشعمي جزءاً منه من سورة الأعلى إلى سورة الناس أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة 2019م في ألف وثمان وعشرين صفحة. وحققت عبير فائق أحمد جمال حريري جزءاً آخر منه من آية 19 من سورة آل عمران إلى آية 34 منها أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة 2019م، اعتمدت على نسخة مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس، برقم: 18484 وفيها مائة واثنان وثمانون ورقة؛ وذكرت أن أبا حيان ذكره في تسعة عشر موضعاً⁽²⁵⁾، وهذا غير صحيح بل ذكره في مواضع كثيرة. وحققت كيفية بنت عيادة الرشدي جزءاً منه من آية 73 من سورة مريم إلى الآية 48 من سورة طه أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة 2018م، وحققت لأول مرة بنت عبد الله بخيت من أول سورة النحل إلى الآية 72 أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة 2018م.

واختصره محمد ابن جزيل (ت بعد 695هـ)، له نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله قطعة مخطوطة منه في 187 ورقة من القطع الوسط.

يعكف القائمون على كلية الدعوة وأصول الدين على تحقيق ما عُثر عليه من أجزاء وقطع من مخطوطات هذا التفسير؛ وهي⁽²⁶⁾:

- المقدمة وسورة الفاتحة.
- البقرة من بدايتها إلى الآية 40. ومن الآية 243 إلى الآية 254.
- البقرة (255-281).
- آل عمران (19-43)، وهي التي حققتها عبير فائق أحمد جمال حريري.
- الأنفال الآية 51 ومن أول التوبة إلى 54.
- التوبة 55-60 مع سورة الحجرات.
- النحل من أولها إلى الآية 72.
- الكهف من الآية 71 ومن أول مريم إلى الآية 72.
- مريم الآية 73 ومن أول طه إلى الآية 48 ومن أول الشعراء إلى الآية 99.
- سورة الشعراء من الآية 100، وسورة النمل كاملة وسورة القصص إلى الآية 80.
- المدثر إلى الطارق.
- البلد إلى الناس.
- وبالتالي فإننا نلاحظ أن الأجزاء الموجودة ربما لا تناهز نصف أو ربع التفسير المذكور، وأنه أغلبه في حكم المفقود.
- **ثالثاً: نصوص من تفسير ابن النقيب:**

في خطبة الكتاب:

جاءت الإشارة إلى تفسير ابن النقيب في خطبة تفسير (البحر المحيط) بقول أبي حيان: "وما كان في هذا الكتاب من تفسير ابن عطية، فأخبرني به القاضي الإمام أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي، قراءة مني عليه لبعضه. ومناولة عن الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، يُعرف بابن حبيش، قال: أخبرنا به مصنفه قراءة عليه لجميعه، وأخبرني به غالباً القاضي الأصولي المتكلم أبو الحسن محمد بن القاضي الأصولي المتكلم أبي عامر يحيى بن عبد الرحمن الأشعري نسباً ومذهباً، إجازة كتبها لي بخطه بغرناطة، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي العافقي الشفوري بقرطبة، وهو آخر من حدث عن ابن عطية، وهو آخر من روى عنه.

واعتَمَدْتُ، في أَكْثَرِ نَقُولِ كِتَابِي هَذَا، عَلَى كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ لِأَقْوَالِ أَيْمَةِ التَّفْسِيرِ، مِنْ جَمْعِ شَيْخِنَا الصَّالِحِ الْقُدْوَةِ الْأَدِيبِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ حُسَيْنِ الْمَقْدِسِيِّ، عُرِفَ بِابْنِ النَّقِيبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، إِذْ هُوَ أَكْبَرُ كِتَابِ رَأْيَانِهِ صُنِفَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، يَبْلُغُ فِي الْعَدَدِ مِائَةَ سِفْرٍ أَوْ يَكَادُ، إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ التَّكْرِيرِ، قَلِيلُ التَّحْرِيرِ، مُفْرَطُ الْإِسْهَابِ، لَمْ يُعَدِّ جَامِعُهُ مِنْ نَسْخِ كُتُبٍ فِي كِتَابِهِ، كَذَلِكَ كَانَ فِيهِ بِحَالِ التَّهْذِيبِ وَمُرَادِ التَّرْتِيبِ. وَهَذَا الْكِتَابُ رَوَاتِي بِالْإِجَازَةِ مِنْ جَامِعِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ شَاهَدْنَاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ حِينَ جَمَعَهُ يَقُولُ لِلنَّاسِخِ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَكْتُبْ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا. وَيَنْقُلُ مَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا، وَيَعْرِوْ فِي أَكْثَرِ الْمَوَاضِعِ مَا يَنْقُلُ مِنْهَا إِلَى مُصَنَّفِ ذَلِكَ الْكِتَابِ. وَكَانَ فِيهِ فَضِيلَةٌ أَدَبٍ، وَلَهُ نَزْرٌ وَنَظْمٌ مُتَوَسِّطٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَرَضِي عَنْهُ (27).

من سورة النساء:

في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (42) [النساء: 42]

وَقِيلَ: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ لَوْ سُويَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكْتُمُوا اللَّهَ حَدِيثًا. وَقِيلَ: لَمْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا اعْتَقَدُوا أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ طَاعَةٌ، ذَكَرَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ: ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ. قَالَ الْقَاضِي: أَخْبَرُوا بِمَا تَوَهَّمُوا، وَكَانُوا يَطْلُونُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا. وَإِذَا كَانَتْ الْجُمْلَةُ مُنْدرَجَةً تَحْتَ يَوْمَ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ قَوْلُهُمْ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، وَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ. وَقَالَ عَطَاءٌ: أَمَرَ الرُّسُولُ وَنَعْتَهُ وَبَعْتَهُ، وَهَذَا مُتَعَلِّقٌ بِالدُّنْيَا انْتَهَى. مَا لَخِصَّ مِنْ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ (28).

وفي تفسير قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (82) [النساء: 82]

وَقَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ النَّقِيبِ وَهُوَ جَامِعُ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ لِأَقْوَالِ أَيْمَةِ التَّفْسِيرِ مَا نَصَّهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ: وَقَدْ لَاحَظَ لِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَدَقًا وَتَفْهِيمًا وَتَأْخِيرًا وَأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُتَعَلِّقٌ بِالَّذِي قَبْلَهُ مَرْدُودٌ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ التَّفْهِيمُ: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ، وَلَوْ تَذَكَّرُوا لَعَلِمُوا أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَالْمُشْكِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ مُتَشَابِهِهِ لَوْ رَدُّهُ إِلَى الرُّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ يَعْنِي: لَعَلِمَ مَعْنَى ذَلِكَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ إِلَّا قَلِيلًا، وَهُوَ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ عِلْمِ كِتَابِهِ وَمَكُونِ خَطَابِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ، وَالَّذِي حَسَنَ لَهُمْ ذَلِكَ وَزَيْنَتُهُ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ «1» الْآيَةَ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِقُوتِ الْقُلُوبِ، وَقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: إِلَّا قَلِيلًا «2» مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «3» وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الاسْتِنْبَاطُ اسْتِخْرَاجًا مِنْ مَعْنَى اللَّفْظِ الْمُتَشَابِهِ بِنَوْعٍ مِنَ النُّظَرَةِ وَالْإِجْتِهَادِ وَالتَّفَكُّرِ انْتَهَى كَلَامُهُ. وَهُوَ كَمَا تَرَى تَرْكِيبٌ وَنَظْمٌ غَيْرُ تَرْكِيبِ الْفُرَانَ وَنَظْمِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَذَكِّرُ هَذَا الرَّجُلُ فِي الْفُرَانِ تَفْهِيمًا وَتَأْخِيرًا، وَأَعْرَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجْعَلُهُ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ، وَأَصْحَابُنَا وَحْدَانُ النُّحَوِيِّينَ يَجْعَلُونَهُ مِنْ بَابِ ضَرَائِرِ الْأَشْعَارِ، وَشَتَّى مَا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ (29).

من سورة المائدة:

في تفسير قوله تعالى: (وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) [المائدة: 113] وَقَرَأَ ابْنُ جُبَيْرٍ: وَنَعْلَمُ بِضَمِّ التَّوْنِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ وَهَكَذَا فِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ وَفِي كِتَابِ ابْنِ عَطِيَّةٍ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَيَعْلَمُ بِالْبَاءِ الْمَضْمُونَةِ وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْقُلُوبِ، وَفِي كِتَابِ الرَّمَحْشَرِيِّ وَيَعْلَمُ بِالْبَاءِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَتَعْلَمُ بِالْبَاءِ أَيْ وَتَعْلَمُهُ قُلُوبُنَا. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ وَنَكُونُ بِالتَّوْنِ وَفِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ (30).

من سورة الأنعام:

وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (56) [الأنعام: 35]: (قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) الْمَعْنَى إِنْ اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَكُمْ ضَلَلْتُ وَمَا اهْتَدَيْتُ وَالْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ مُؤَكَّدَةٌ لِقَوْلِهِ قَدْ ضَلَلْتُ وَجَاءَتْ تِلْكَ فِعْلِيَّةٌ لِنَدْلٍ عَلَى التَّجَدُّدِ وَهَذِهِ اسْمِيَّةٌ لِنَدْلٍ عَلَى الثَّبُوتِ فَحَصَلَ نَفْيُ تَجَدُّدِ الضَّلَالِ وَثَبُوتِهِ وَجَاءَتْ رَأْسَ آيَةٍ. وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ وَابْنُ وَثَّابٍ وَطَلْحَةُ ضَلَلْتُ بِكَسْرِ فَتْحَةِ اللَّامِ وَهِيَ لُغَةٌ، وَفِي التَّحْرِيرِ قَرَأَ يَحْيَى وَابْنُ أَبِي لَيْلَى هُنَا فِي السُّجْدَةِ فِي إِذَا ضَلَلْنَا بِالصَّادِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ وَيُقَالُ صَلَّ اللَّحْمُ أَنْتَنَ وَيَزَوَى ضَلَلْنَا أَيْ دَفِنَا فِي الضَّلَّةِ وَهِيَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ رَوَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ الْفُرَاتِ فِي كِتَابِ الشَّوَادِ لَهُ. قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي أَيْ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاضِحَةٍ وَمِلَّةٍ صَحِيحَةٍ (31).

وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجِسٌ أَوْ فِسْقًا أَلْهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (145) [الأنعام: 145]:

وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ: وَأَمَّا الْمُحَذَّرَاتُ كَالْبَيْتِ وَالسَّبَّكَرَانِ وَاللُّفَاحِ وَوَرَقِ الْقَنْبِ الْمُسَمَّى بِالْحَشِيشَةِ فَلَمْ يَصْرَحْ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّحْرِيمِ وَهِيَ عِنْدِي إِلَى التَّحْرِيمِ أَقْرَبُ، لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مُسْكِرَةً فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَسْكُرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ». «وَبَقَوْلِهِ»: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ «وَأِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُسْكِرَةٍ فَإِذَا خَالَ الضَّرَرُ عَلَى الْجِسْمِ

حَرَامٌ. وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ بَحْتِيشُوعَ فِي كِتَابِهِ: إِنَّ وَرَقَ الْقَنْبِ يُحْدِثُ فِي الْجِسْمِ سَبْعِينَ دَاءً وَذَكَرَ مِنْهَا أَنَّهُ يُصَوِّرُ الْجِلْدَ وَيُسَوِّدُ الْأَسْنَانَ وَيَجْعَلُ فِيهَا الْحَفَرَ وَيَنْقُبُ الْكَبِدَ وَيُحَمِّبُهَا وَيُفْسِدُ الْعَقْلَ وَيُضْعِفُ الْبَصَرَ وَيُحْدِثُ الْعَمَ وَيُذْهِبُ الشَّجَاعَةَ وَالْبَنَجَ وَالسَّيْكَرَانَ كَالْوَرَقِ فِي الصَّرَرِ وَأَمَّا الْمُرْفِدَاتُ كَالزَّعْفَرَانِ وَالْمَارِزِيُّونَ فَالْقَدْرُ الْمُضِرُّ مِنْهَا حَرَامٌ، وَقَالَ جُمْهُورُ الْأَطِبَّاءِ: إِذَا اسْتَعْمَلَ مِنَ الزَّعْفَرَانِ كَثِيرٌ قَتَلَ قَرَحًا أَنْتَهَى، وَفِيهِ بَعْضُ تَلْخِصِ (32).

من سورة الأعراف:

وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (27) [الأعراف: 27]: وفي كتب التحرير أنكر جماعة من الحكماء تكرّر الجن والشياطين وتصورهم على أي جهة شاؤوا وقوله إِنَّهُ يَرَاكُمْ تَغْلِيلٌ لِلنَّهْيِ وَتَحْذِيرٌ مِنْ فِتْنَتِهِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْعَدُوِّ الْمُدَاجِي يَكِيدُكُمْ وَيَغْتَالِكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ (33).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثَتْكُمْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (43) [الأعراف: 43]: قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ تَلَكُمُ إِشَارَةٌ إِلَى غَايَةِ فِيمَا لَا تُهْمُ كَانُوا وَعَدُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا فَالْإِشَارَةُ إِلَى تِلْكَ أَيْ تَلَكُمُ هَذِهِ الْجَنَّةُ وَحُذِفَتْ هَذِهِ وَإِمَّا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَإِمَّا بَعْدَ الدُّخُولِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا فَكُلُّ غَائِبٍ عَنْ مَنْزِلِهِ أَنْتَهَى، وَفِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ: "وَتَلَكُمُ إِشَارَةٌ إِلَى غَائِبٍ وَإِنَّمَا قَالَ هُنَا تَلَكُمُ لِأَنَّهُمْ وَعَدُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا فَلِأَجْلِ الْوَعْدِ جَرَى الْخُطَابُ بِكَلِمَةِ الْعَهْدِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصِّدِّيقِ فِي الْإِسْتِخْبَارِ عَنْ عَائِشَةَ «كَيْفَ تَبْكُمُ لِلْعَهْدِ السَّابِقِ أَنْتَهَى» (34).

وفي تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) [الأعراف: 37]: تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حَتَّى إِذَا فِي أَوَائِلِ الْأَنْعَامِ، وَوَقَعَ فِي التَّحْرِيرِ حَتَّى هُنَا لَيْسَ بِغَايَةِ بَلْ هِيَ ابْتِدَاءٌ وَجَرَّ وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعٍ جَرَّ وَهَذَا وَهَمَّ بَلْ مَعْنَاهَا هُنَا الْعَايَةُ وَالْخِلَافُ فِيهَا إِذَا كَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ أَهِيَ حَرْفُ جَرٍّ وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعٍ جَرَّ وَتَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهَا كَمَا تَتَعَلَّقُ حُرُوفُ الْجَرِّ أَمْ لَيْسَتْ حَرْفُ جَرٍّ وَلَا تَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهَا تَعَلَّقَ حُرُوفُ الْجَرِّ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لَا مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ لِأَنَّ دُرُسْتَوِيَهُ وَالرَّجَاجَ، وَالثَّانِي لِلْجُمْهُورِ وَإِذَا كَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ فَهِيَ لِلْعَايَةِ .. (35).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (52) [الأعراف: 52]: وَقَرَأَ ابْنُ مُحْيِصِينَ وَالْجَحْدَرِيُّ فَصَّلْنَاهُ بِالضَّادِ الْمَنْقُوطَةِ وَالْمَعْنَى فَصَّلْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ عَالِمِينَ بِأَنَّهُ أَهْلٌ لِلتَّفْصِيلِ عَلَيْهَا وَفِي التَّحْرِيرِ أَنَّهُ فَضَّلَ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةَ بِثَلَاثِينَ خَصْلَةً لَمْ تَكُنْ فِي غَيْرِهِ (36).

وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (54) [الأعراف: 54]:

وَأَمَّا اسْتَوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ فَحَمَلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ بِدَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ قَوْمٌ وَالْجُمْهُورُ مِنَ السَّلَفِ السُّفْيَانَانِ وَمَالِكٍ وَالْأَوْرَاعِيِّ وَاللَّيْثِ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَغَيْرُهُمْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَإِمْرَارَهَا عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَغْيِينٍ مُرَادٍ وَقَوْمٌ تَأَوَّلُوا ذَلِكَ عَلَى عِدَّةِ تَأْوِيلَاتٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَعَلَ فَعَلًا فِي الْعَرْشِ سَمَاهُ اسْتَوَاءٌ وَعَنْ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ النَّحْوِيِّ أَنَّهُ قَالَ الْعَرْشُ مَصْدَرٌ عَرَشَ يَعْرِشُ عَرْشًا وَالْمُرَادُ بِالْعَرْشِ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ هَذَا وَهَذَا يَنْبُو عَنْهُ مَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ أَنَّهُ جِسْمٌ مَخْلُوقٌ مُعَيَّنٌ وَمَسْأَلَةُ الْإِسْتَوَاءِ مَذْكُورَةٌ فِي عِلْمِ أَصُولِ الدِّينِ وَقَدْ أَمْعَنَ فِي تَقْرِيرِ مَا يُمَكِّنُ تَقْرِيرَهُ فِيهَا الْفَقَالُ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي التَّحْرِيرِ فَبَطُلَ هُنَاكَ وَلَفْظَةُ الْعَرْشِ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ مَعَانِي كَثِيرَةٍ فَالْعَرْشُ سَرِيرُ الْمُلِكِ وَمِنْهُ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا وَالْعَرْشُ السَّقْفُ وَكُلُّ مَا عَلَا وَأَظْلَّ فَهُوَ عَرْشٌ وَالْعَرْشُ الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ وَالْعَرْ، وَقَالَ زُهَيْرٌ:

تَذَارَكُنَا عَيْسًا وَقَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا ... وَذُبْيَانُ إِذْ رَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النُّعْلُ

وَقَالَ آخَرُ:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ ... بِعُتْبِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

وَالْعَرْشُ الْخَشَبُ الَّذِي يُطَوَّى بِهِ الْبُئْرُ بَعْدَ أَنْ يُطَوَّى أَسْفَلُهَا بِالْجَارَةِ وَالْعَرْشُ أَرْبَعَةُ كَوَاكِبٍ صَغَارٍ أَسْفَلُ مِنَ الْعَوَاءِ يُقَالُ لَهَا: عَجْرُ الْأَسَدِ وَيُسَمَّى عَرْشُ السَّمَاءِ وَالْعَرْشُ مَا يَلْقَى ظَهْرُ الْقَدَمِ وَفِيهِ الْأَصَابِعُ وَاسْتَوَى أَيْضًا يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى اسْتَقَرَّ وَبِمَعْنَى عَلَا وَبِمَعْنَى قَصَدَ وَبِمَعْنَى سَاوَى وَبِمَعْنَى تَسَاوَى وَقِيلَ بِمَعْنَى اسْتَوَى وَأَنْشَدُوا:

هُمَا اسْتَوَيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعًا ... عَلَى عَرْشِ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ زُورٍ

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لَا نَعْرِفُ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي ذَلَّ عَلَيْهِ خَلَقَ ثُمَّ اسْتَوَى خَلَقَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى «1» لَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ اسْتَوَى عَلَى الرَّحْمَنِ إِذْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الرَّحْمَنُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ وَالضَّمِيرُ فِي اسْتَوَى عَائِدٌ عَلَى الْخَلْقِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى «2» أَيْ هُوَ الرَّحْمَنُ اسْتَوَى خَلَقَهُ عَلَى الْعَرْشِ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ذَكَرَ خَلَقَ مَا هُوَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ وَأَوْسَعُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَعَ الْإِحْتِمَالِ فِي الْعَرْشِ وَفِي اسْتَوَى وَفِي الضَّمِيرِ الْعَائِدِ لَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا هَذَا مَعَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي أَقَامُوهَا عَلَى اسْتِحَالَةِ ذَلِكَ. وَقَالَ الْحَسَنُ اسْتَوَى أَمْرُهُ وَسَأَلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: كَيْفَ اسْتَوَى فَاطَّرَقَ رَأْسَهُ مَلِيًّا

وَعَلَّاهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ وَمَا أَطْنُكَ إِلَّا ضَالًّا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ (37).

وفي تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَى أَجَلٍ لَهُم بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ) (135) ([الأعراف: 135]: وفي التَّحْرِيرِ إِلَى أَجَلٍ إِلَى انْقِضَاءِ مَدَّةِ إِهْمَالِهِمْ وَهِيَ الْمُدَّةُ الْمَضْرُوبَةُ لِإِيمَانِهِمْ (38).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (159) ([الأعراف: 159]: هم قوم من أهل الكتاب آمَنُوا بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ وَقَالَ قَوْمٌ: هُمْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَمَسَّكُوا بِشَرْعِ مُوسَى قَبْلَ نَسْخِهِ وَلَمْ يَبْدِلُوا وَلَمْ يَقْتُلُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَقَالَ الرَّمَخْشَرِيُّ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ التَّائِبُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا ذَكَرَ الَّذِينَ تَزَلَّلُوا مِنْهُمْ ذَكَرَ أُمَّةٌ مُؤْمِنِينَ تَائِبِينَ يَهْدُونَ النَّاسَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَيُرْشِدُونَهُمْ وَبِالْحَقِّ يَعْدِلُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْحُكْمِ وَلَا يَجُورُونَ أَوْ أَرَادَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّنْ بِهِ مِنْ أَعْقَابِهِمْ أَنْتَهَى، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي آمَنَتْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَهَةِ الْاسْتِجْلَابِ لِإِيمَانِ جَمِيعِهِمْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ اهْتَدَى وَاتَّقَى وَعَدَلَ أَنْتَهَى، وَمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيِّ وَابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اغْتَرَبُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَدَخَلُوا سِرْبًا مَشَوْا فِيهِ سَنَةً وَنِصْفًا تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى خَرَجُوا وَرَأَى الصِّينَ فَهُمْ هُنَاكَ يُقِيمُونَ الشَّرْعَ فِي حِكَايَاتٍ طَوِيلَةٍ ذَكَرَهَا الرَّمَخْشَرِيُّ وَصَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْيِيرِ يُوقِفُ عَلَيْهَا هُنَاكَ لَعْلَهُ لَا يَصِحُّ (39).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ يُؤْلِهْمُ يَوْمَنْذِرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَذَبَّاهُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَآوَاهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ) (16) ([الأنفال: 16]: قَالَ فِي التَّحْرِيرِ: وَهَذَا النَّوْغُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ يُسَمَّى بِالتَّعْرِيطِ عَرَضَ بِسُوءِ حَالِهِمْ وَفُتِحَ فِعَالُهُمْ وَخَسَّاسَةٌ مَنَزَلَتِهِمْ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ الْإِيمَاءَ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ الْكِنَايَةَ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَإِنَّ الْكِنَايَةَ أَنْ تُصَرَّحَ بِاللَّفْظِ الْجَمِيلِ عَلَى الْمَعْنَى الْقَبِيحِ أَنْتَهَى (40).

وفي تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ) (15) ([الأنفال: 15]: وفي التَّحْرِيرِ التَّوَلَّى الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ هُوَ الْفِرَارُ مَعَ الْمُصَابِرَةِ عَلَى الثَّبَاتِ فَأَمَّا إِذَا جَاءَهُ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ الثَّبَاتُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْفِرَارِ أَنْتَهَى (41).

من سورة التوبة:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (24) ([التوبة: 24]: "... والفا سقين عُمُومٌ يُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ فِيمَنْ تَوَافَى عَلَى فِسْقِهِ، أَوْ عُمُومٌ مُطْلَقٌ عَلَى أَنَّهُ لَا هِدَايَةَ مِنْ حَيْثُ الْفِسْقُ، وَفِي التَّحْرِيرِ الْفِسْقُ هُنَا الْكُفْرُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَابَلَهُ مِنَ الْهِدَايَةِ. وَالْكَفْرُ ضَلَالٌ، وَالضَّلَالُ ضِدُّ الْهِدَايَةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجَرُوا، فَيَكُونُ الْفِسْقُ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَمْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ وَلَا أَمْرَ رَسُولِهِ فِي الْهَجْرَةِ (42).

وفي تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (28) ([التوبة: 28]: وَقَالَ الْحَسَنُ: مَنْ صَافَحَ مُشْرِكًا فَلْيَتَوَضَّأْ. وَفِي التَّحْرِيرِ وَبَالِغُ الْحَسَنِ حَتَّى قَالَ: إِنَّ الْوُضُوءَ يَجِبُ مِنْ مَسِّ الْمُشْرِكِ، وَلَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ بِقَوْلِ الْحَسَنِ إِلَّا الْهَادِي مِنَ الرَّيِّيَّةِ (43).

وفي تفسير قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (31) ([التوبة: 31]:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ)؛ تَعَدَّتْ اتَّخَذَ هُنَا الْمَفْعُولِينَ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قَالَ خُذِيفَةُ: لَمْ يَعْبُدُوهُمْ وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَأَحَلُّوه، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَحَرَّمُوهُ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا مَرْفُوعًا فِي التِّرْمِذِيِّ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ. وَقِيلَ: كَانُوا يَسْجُدُونَ لَهُمْ كَمَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ، وَالسُّجُودُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ مَجَازًا. وَقِيلَ: عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ الْخُلُوعَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ تَجَلَّى فِي بَوَاطِنِهِمْ فَيَسْجُدُونَ لَهُ مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي حَلَّ فِيهِمْ وَتَجَلَّى فِي سَرَائِرِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا حَقِيقَةً. وَمَذْهَبُ الْخُلُوعِ قَشَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَثِيرًا، وَقَالُوا بِالْإِتِّحَادِ. وَأَكْثَرُ مَا قَشَا فِي مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَرَاءِ فِي وَقْتِنَا هَذَا، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَكْبَرُ. وَحَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ أَنَّهُ كَانَ قَاشِيًا فِي زَمَانِهِ، حَكَاهُ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ بَعْضِ الْمَرْوَزِيِّينَ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَنْتُمْ عِبِيدِي، وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِ الْحَمَقِ مِنْ أَتْبَاعِهِ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ. وَإِذَا كَانَ هَذَا مُشَاهِدًا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَكَيْفَ يَبْعُدُ ثُبُوتُهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ أَنْتَهَى! وَهُوَ مَقُولٌ مِنْ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْيِيرِ، وَقَدْ صَنَّفَ شَيْخُنَا الْمُحَدِّثُ الْمُتَصَوِّفُ قُطُبُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْقُسْطَلَانِيِّ كِتَابًا فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ، فَذَكَرَ فِيهِمُ الْحُسَيْنَ بْنَ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشُّوزِيِّ كَانَ يَتَلَمَّسَانِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ دَهَانَ عُرِفَ بِابْنِ الْمَرَاةِ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْلَى الْمَتَامِرِ بِلُورَقَةِ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الطَّائِي، وَعُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْفَارِضِ، وَعَبْدَ الْحَقِّ بْنَ سَبْعِينَ، وَأَبَا الْحَسَنِ الشَّسْتَرِيَّ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَابْنَ مُطَرِّفٍ الْأَعْمَى مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَحْلَى، وَالصُّفْيَانِيَّ مِنْ أَصْحَابِهِ أَيْضًا، وَالْعَفِيفَ التَّلْمَسَانِيَّ. وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ. وَقَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْأَحْمَرِ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ الصُّفْيَانِيُّ بَغْرَاطَةً وَأَنَابَهَا، وَقَدْ رَأَيْتُ الْعَفِيفَ الْكُوفِيَّ وَأَنْشَدَنِي مِنْ شِعْرِهِ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ هَذَا الْمَذْهَبَ.

وكان أبو عبد الله الأيكي شيخ خانكاه سعيد السعداء مخالطاً له خلطة كثيرة، وكان منهم بهذا المذهب، وخرج التلمساني من القاهرة هارباً إلى الشام من القتل على الرندقة. وأما ملوك العبيدتين بالمغرب ومصر فإن أتباعهم يعتقدون فيهم الإلهية، وأولهم عبدة الله المتلقب بالمهدي، وآخرهم سليمان المتلقب بالعاصد. والأخبار علماء اليهود، والرهبان عبادة الصاري الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخلق في الصوامع. أخبر عن المجموع، وعاد كل ما يناسبه⁽⁴⁴⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَى قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (60) [التوبة: 60]: وَقَدْ كَتَبَ الرَّهْرِيُّ لِعَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يُفَرِّقُهَا عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ قَالَ: إِلَّا الْمَوْلَى، فَإِنَّهُمْ انْقَطَعُوا. وَأَمَّا أَنَّ الْفُقَرَاءَ غَيْرَ الْمَسْكِينِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّ الْفَقِيرَ وَالْمَسْكِينَ سَوَاءٌ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى، وَإِنْ افْتَرَقَا فِي الْأَسْمَاءِ، وَهُمَا صِنْفٌ وَاحِدٌ سَمِيَ بِاسْمَيْنِ لِيُعْطَى سَهْمَيْنِ نَظَرًا لَهُمْ وَرَحْمَةً. قَالَ فِي التَّحْرِيرِ: وَهَذَا هُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ. وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُمَا صِنْفَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِقْلَالُ وَالْفَاقَةُ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا بِهِ الْفَرْقُ⁽⁴⁵⁾.

وفي كتاب التحرير قال الشافعي: العامل والمؤلف قلوبهم مفقودان في هذا الزمان، بقيت الأصناف الستة، فالأولى صرفها إلى الستة. وأما أنه يُعْتَبَرُ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُهُ إِنْ كَانَ مُوجُودًا فَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ، لِأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ، فَإِنْ دَفَعَ سَهْمَ الْفُقَرَاءِ إِلَى فَقِيرَيْنِ ضَمِنَ نَصِيبَ الثَّالِثِ وَهُوَ ثُلُثُ سَهْمٍ. وَقَالَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ: يَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ جَمِيعَ زَكَاتِهِ مَسْكِينًا وَاحِدًا. وَقَالَ مَالِكٌ: لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ وَاحِدًا، وَاللَّامُ فِي الْفُقَرَاءِ. قِيلَ: لِلْمَلِكِ. وَقِيلَ: لِلْإِخْتِصَاصِ⁽⁴⁶⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (103) [التوبة: 103]:

وهذه أقوال متقاربة. وقال أبو عبد الله الرازي: إنما كانت صلته سكتاً لهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحاً قوية مشرقة صافية، فإذا دعا لهم وذكرهم بالخير ثارت آثار من قوته الروحانية على أرواحهم فأشرق بها السبب أرواحهم، وصفت سرائرهم، وانقلبوا من الظلمة إلى النور، ومن الجسمانية إلى الروحانية. قال الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان عرف بابن النقيب في كتابه التحرير والتخبير: كلام الرازي كلام فلسفي يشير فيه إلى أن قوى الأنفس مؤثرة فعالة، وذلك غير جائز على طريقة أهل التفسير انتهى⁽⁴⁷⁾.

من سورة يونس:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (18) [يونس: 18]: وفي التحرير: أَنْتَبِتُونَ، مَعْنَاهُ التَّهْكُمُ وَالتَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ وَالتَّنْكَارُ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا: أَنْتَبِرُونَ اللَّهَ بِمَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّ صِفَاتِ الدَّاتِ لَا يَجْرِي فِيهَا النَّفْيُ. وَقِيلَ: أَنْتَبِرُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ مَوْجُودًا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَكَيْفَ يَصِحُّ وُجُودُ مَا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: قَدْ قُلْتَ كَذَا، فَيَقُولُ: مَا عَلِمَ اللَّهُ هَذَا مِنِّي، أَيْ مَا كَانَ هَذَا قَطُّ، إِذْ لَوْ كَانَ لَعَلَّمَهُ اللَّهُ أَنْتَهَى⁽⁴⁸⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (24) [يونس: 24]: وفي التحرير: وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقْرَأُ فِي قِرَاءَةِ آيَةِ كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ، وَمَا أَهْلَكْنَاهَا إِلَّا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا، وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَقْرَأَ أَحَدٌ بِهِذِهِ الْقِرَاءَةَ لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِخَطِّ الْمُصْحَفِ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ أَنْتَهَى⁽⁴⁹⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (89) [يونس: 88، 89]:

... وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ صَارَتْ حِجَارَةً. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَهْلَكَهَا حَتَّى لَا تُرَى. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَرْضُ دَنَائِيرُهُمْ وَدَرَاهِمُهُمْ وَفَرَشُهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ حِجَارَةً. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَدَعَا بِخَرِيطةٍ أَصِيبَتْ بِمِصْرَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا الْفَوَاكِهَ وَالذَّرَاهِمَ وَالْدَنَائِيرَ، وَأَنَّهَا الْحِجَارَةُ. وَقَالَ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْقُرْطُبِيُّ: جَعَلَ سَكْرَهُمْ حِجَارَةً. وَقَالَ السَّيِّدِيُّ: مَسَحَ اللَّهُ الثَّمَارَ وَالنَّخْلَ وَالْأَطْعِمَةَ حِجَارَةً. وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُفَسِّسِيُّ عَرَفَ بِابْنِ النَّقِيبِ وَهُوَ جَامِعُ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ: أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ كَانُوا شُغْلُهُمُ السِّيَاحَةُ أَنَّهُمْ عَابَتُوا بِجِبَالِ مِصْرَ وَبِزَارِيهَا حِجَارَةً عَلَى هَيْئَةِ الدَّنَائِيرِ وَالدَّرَاهِمِ، وَفِيهَا آثَارُ النَّقْشِ، وَعَلَى هَيْئَةِ الْفُلُوسِ، وَعَلَى هَيْئَةِ الْبَطِيخِ الْعَبْدِ لَاوِي، وَهَيْئَةِ الْبَطِيخِ الْأَخْضَرِ، وَعَلَى هَيْئَةِ الْخِيَارِ، وَعَلَى هَيْئَةِ الْفَنَاءِ، وَحِجَارَةً مَطْوَلَةً رَقِيقَةً مُعْوجَّةً عَلَى هَيْئَةِ النَّفُوشِ، وَرُبَّمَا رَأَوْا عَلَى صُورَةِ الشَّجَرِ⁽⁵⁰⁾.

من سورة هود:

وفي تفسير قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (5) [هود: 5]: وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: الَّذِي يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْآيَةِ أَنَّهُ أَرَادَ بِمَا يُسِرُّونَ مَا انْطَوَتْ

عَلَيْهِ صُدُورُهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالنِّفَاقِ وَالْعِلِّ وَالْحَسَدِ وَالْبُغْضِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَأَعْمَالُ الْقُلُوبِ خَفِيَّةٌ جِدًّا، وَأَرَادَ بِمَا يُعْلَنُونَ مَا يُظْهَرُونَ مِنْ اسْتِدْبَارِهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْشِيَةِ نِيَابِهِمْ، وَسَدِّ أَدَانِهِمْ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ ظَاهِرَةٌ لَا تَخْفَى (51).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (111) (هود: 111): وَهَذِهِ كُلُّهَا تَحْرِيجَاتٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا يَنْزُرُ الْقُرْآنُ عَنْهَا. وَكُنْتُ قَدْ ظَهَرَ لِي فِيهَا وَجْهٌ جَارٍ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ لَمَّا هَذِهِ هِيَ لَمَّا الْجَازِمَةُ حُذِفَ فِعْلُهَا الْمَجْزُومُ لِلدَّلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، كَمَا حَذَفُوهُ فِي قَوْلِهِمْ قَارِئُ الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا يُرِيدُونَ وَلَمَّا أَدْخَلَهَا. وَكَذَلِكَ هُنَا التَّقْدِيرُ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا يَنْقُصُ مِنْ جَزَاءِ عَمَلِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ)، لَمَّا أَخْبَرَ بِانْتِقَاءِ نَفْصِ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ أَكْذَهُ بِالْقَسَمِ فَقَالَ: لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ، وَكُنْتُ اعْتَقَدْتُ أَنِّي سَبَقْتُ إِلَى هَذَا التَّحْرِيجِ السَّائِعِ الْعَارِي مِنَ التَّكْلُفِ وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِبَعْضِ مَنْ يَقْرَأُ عَلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ الْحَاجِبِ، وَلِتَرْكِي النَّظَرَ فِي كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَأَيْتُ فِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ نَقْلَ هَذَا التَّحْرِيجِ عَنِ ابْنِ الْحَاجِبِ قَالَ: لَمَّا هَذِهِ هِيَ الْجَازِمَةُ حُذِفَ فِعْلُهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لِمَا نَبَتَ مِنْ جَوَازِ حَذْفِ فِعْلِهَا فِي قَوْلِهِمْ: خَرَجْتُ وَلَمَّا سَافَرْتُ، وَلَمَّا وَنَحُوهُ، وَهُوَ سَائِعٌ فَصِيحٌ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: لَمَّا يُتْرَكُوا، لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ مِنْ تَفْصِيلِ الْمُجْمُوعِينَ فِي قَوْلِهِ: فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ «1» ثُمَّ ذَكَرَ الْأَشْقِيَاءَ وَالسَّعْدَاءَ وَمُجَارَاتِهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ، قَالَ: وَمَا أَعْرِفُ وَجْهًا أَشْبَهَ مِنْ هَذَا، وَإِنْ كَانَ النَّفْسُ تَسْتَبْعِدُهُ مِنْ جَهَةِ أَنْ مِثْلَهُ لَمْ يَقَعْ فِي الْقُرْآنِ (52).

من سورة يوسف:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (20) (يوسف: 20): ... قَالَ عِكْرِمَةُ فِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ إِسْحَاقَ: أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا. وَقِيلَ: ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا، وَنَعْلَانٌ وَحُلَّةٌ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَتْ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا، كَذَا نَقَلَهُ الرَّمَحْشَرِيُّ عَنْهُ، وَنَقَلَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: أَخَذَهَا إِخْوَتُهُ دِرْهَمَيْنِ دِرْهَمَيْنِ، وَصَاحِبُ التَّحْرِيرِ عَنْهُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... (53).

وفي تفسير قوله تعالى: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) (89) (يوسف: 89): ... "وفي التَّحْرِيرِ مَا لَحِصَ مِنْهُ وَهُوَ أَنَّ قَوْلَ الْجُمْهُورِ: هَلْ عَلِمْتُمْ اسْتِثْنَاءٌ مَعْنَاهُ التَّفْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ، وَمُرَادُهُ تَعْظِيمُ الْوَاقِعَةِ أَيْ: مَا أَعْظَمَ مَا ارْتَكَبْتُمْ مِنْ يُوسُفَ. كَمَا يُقَالُ: هَلْ تَدْرِي مَنْ عَصَيْتُ؟ (54)

من سورة الحجر:

وفي تفسير قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) (44) (الحجر: 44): وَقَرَأَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ: جَزْرٌ بِتَشْدِيدِ الرَّايِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ حَذَفَ الْهَمْزَ وَأَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الرَّايِ، ثُمَّ وَقَفَ بِالتَّشْدِيدِ نَحْوَ: هَذَا فَرْجٌ، ثُمَّ أَجْرَى الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ. وَاخْتَلَفَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي كِتَابِ ابْنِ عَطِيَّةٍ: وَقَرَأَ ابْنُ شِهَابٍ بِضَمِّ الرَّايِ، وَلَعَلَّهُ تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ، لِأَنِّي وَجَدْتُ فِي التَّحْرِيرِ: وَقَرَأَ ابْنُ وَثَابٍ بِضَمِّهَا مَهْمُورًا فِيهِمَا. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ بِتَشْدِيدِ الرَّايِ دُونَ هَمْزٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ الْقَعْقَاعِ. وَأَنَّ فِرْقَةَ قَرَأَتْ بِالتَّشْدِيدِ مِنْهُمْ: ابْنُ الْقَعْقَاعِ. وَفِي كِتَابِ الرَّمَحْشَرِيِّ وَكِتَابِ اللَّوَامِحِ: أَنَّهُ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ، وَفِي اللَّوَامِحِ هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ (55).

من سورة الإسراء:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (60) (الإسراء: 60): وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: سَأَلْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْفَرُطَبِيَّ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: ذَهَبَ الْمُتَفَسِّرُونَ فِيهَا إِلَى أَمْرٍ غَيْرِ مُلَائِمٍ فِي سِيَاقِ أَوَّلِ الْآيَةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ بِقَطْعَةٍ لَمَّا آتَاهُ بَدْرًا أَرَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ فَأَرَاهَا النَّاسَ، وَكَانَتْ فِتْنَةً لِقُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا أَخَذُوا فِي الْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ هُنَا هِيَ أَبُو جَهْلٍ انْتَهَى (56).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) (33) (الإسراء: 33): ... " وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالسُّلْطَانُ الْحُجَّةُ وَالْمَلِكُ الَّذِي جَعَلَ إِلَيْهِ مِنَ التَّخْيِيرِ فِي قَبُولِ الدَّمِ أَوْ الْعَفْوِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالصَّحَّاحُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: السُّلْطَانُ الْقَوْدُ وَفِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ السُّلْطَانُ الْقُوَّةُ وَالْوَلَايَةُ (57).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَيْنِ شَيْنَا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا) (86) (الإسراء: 86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) ([الإسراء: 86، 87]: وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: وَبُحْتَمَلُ عِنْدِي فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ وَجْهٌ غَيْرٌ مَا ذَكَرَ وَهُوَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ لَمَّا سُلِّ عَنْ الرُّوحِ شَقٌّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ الْعَالِيَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَهْدِيًّا لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ أَيْجَزُ عَلَيْكَ تَأَخَّرَ الْوَحْيُ فَإِنَّا لَوْ شَيْنَا ذَهَبْنَا بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ جَمِيعَهُ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَابَ قَلْبُهُ وَلَزِمَ الْأَدَبَ انْتَهَى (58).

وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا) [الإسراء: 110].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَهَجَّدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِمَكَّةَ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ». «فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَدْعُو إِلَهَا وَاحِدًا فَهُوَ الْأَنُّ يَدْعُو إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ، مَا الرَّحْمَنُ إِلَّا رَحْمَنُ الْيَمَامَةِ يَعْنُونَ مُسَيْلَمَةَ فَتَزَلَّتْ قَالَهُ فِي التَّحْرِيرِ. وَنَقَلَ ابْنُ عَطِيَّةٍ نَحْوًا مِنْهُ عَنْ مَكْحُولٍ (59).

من سورة الكهف:

وفي تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)) [الكهف: 12]: وفي التحرير وقرأ الجُمهُورُ: لِنَعْلَمَ بِالنُّونِ، وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ بِالنِّبَاءِ وَفِي كِتَابِ ابْنِ خَالَوَيْهِ لِيَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ حَكَاهُ الْأَخْفَشُ. وَفِي الْكَشَافِ وَقَرَأَ لِيَعْلَمَ وَهُوَ مُعْلَقٌ عَنْهُ لِأَنَّهُ ارْتِفَاعُهُ بِالْإِبْتِدَاءِ لَا بِإِسْنَادٍ يَعْلَمُ إِلَيْهِ، وَقَاعِلٌ يَعْلَمُ مَضْمُونُ الْجُمْلَةِ كَمَا أَنَّهُ مَفْعُولٌ يَعْلَمُ انْتَهَى. فَأَمَّا قِرَاءَةُ لِنَعْلَمَ فَيُظْهِرُ أَنَّ ذَلِكَ التَّفَاتُ حَرَجٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهَا وَمَعْنَى لِنَعْلَمَ بِالنُّونِ سَوَاءً، وَأَمَّا لِيَعْلَمَ فَيُظْهِرُ أَنَّ الْمَفْعُولَ الْأَوَّلَ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَالتَّفْذِيرُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ النَّاسَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ. وَالْجُمْلَةُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ فِي مَوْضِعِ مَفْعُولِي يَعْلَمُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ، وَلِيَعْلَمَ مُعْلَقٌ. وَأَمَّا مَا فِي الْكَشَافِ فَلَا يَجُوزُ مَا ذَكَرَ عَلَى مَذْهَبِ النَّصْرِيِّينَ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ إِذَا ذَاكَ تَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَا يُسَمَّى قَاعِلُهُ وَهُوَ قَائِمٌ مَقَامَ الْفَاعِلِ، فَكَمَا أَنَّ تِلْكَ الْجُمْلَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْجُمَلِ لَا تَقُومُ مَقَامَ الْفَاعِلِ فَكَذَلِكَ لَا يَقُومُ مَقَامَ مَا نَابَ عَنْهُ. وَلِلْكَوْفِيِّينَ مَذْهَبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِسْنَادُ إِلَى الْجُمْلَةِ اللَّفْظِيَّةِ مُطْلَقًا (60). وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا إِنْ كَانَ مِمَّا يَصِحُّ تَعْلِيلُهُ.

وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ مُسَى (13)) [الكهف: 13]: وفي التحرير زِدْنَاهُمْ ثَمَرَاتِ هُدًى أَوْ يَقِينًا قَوْلَانِ، وَمَا حَصَلَتْ بِهِ الزِّيَادَةُ امْتِنَالُ الْمَأْمُورِ وَتَرْكُ الْمُنْهَى، أَوْ إِنْطِاقُ الْكَلْبِ لَهُمْ بِأَنَّهُ هُوَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، أَوْ إِنْزَالُ مَلَكٍ عَلَيْهِمْ بِالتَّبَشِيرِ وَالتَّنْذِيرِ وَإِخْبَارُهُمْ بِظُهُورِ نَبِيِّ مِنَ الْعَرَبِ يَكُونُ الدِّينُ بِهِ كُلُّهُ لِلَّهِ فَأَمَنُوا بِهِ قَبْلَ بَعَثِهِ أَقْوَالٌ مُلْحَصَةٌ مِنَ التَّحْرِيرِ (61).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60)) [الكهف: 60-82]:

وفي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ مَا نَصَّهُ: تَعَلَّقَ بَعْضُ الْجُهَالِ بِمَا جَرَى لِمُوسَى مَعَ الْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى أَنَّ الْخَضِرَ أَفْضَلُ مِنْ مُوسَى وَطَرَدُوا الْحُكْمَ، وَقَالُوا: قَدْ يَكُونُ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلَ مِنْ أَحَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَاسْتَدَلُّوا أَيْضًا بِقَوْلِ أَبِي يَزِيدَ خُصِّنَتْ بَحْرًا وَقَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى سَاحِلِهِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الرُّغُونَةِ وَالظَّنَّةِ بِالنَّفْسِ انْتَهَى. وَهَكَذَا سَمِعْنَا مَنْ يَحْكِي هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْ بَعْضِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ وَهُوَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الطَّائِفِيُّ صَاحِبُ الْفُتُوحِ الْمَكِّيَّةِ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِالْقُبُوحِ الْهَلَكِيَّةِ وَأَنَّهُ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَلِيَّ خَيْرٌ مِنَ النَّبِيِّ قَالَ: لِأَنَّ الْوَلِيَّ يَأْخُذُ عَنِ اللَّهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَالنَّبِيُّ يَأْخُذُ بِوَاسِطَةٍ عَنِ اللَّهِ، وَلِأَنَّ الْوَلِيَّ قَاعِدٌ فِي الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالنَّبِيُّ مُرْسَلٌ إِلَى قَوْمٍ، وَمَنْ كَانَ فِي الْحَضَرَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ يُرْسَلُهُ صَاحِبُ الْحَضَرَةِ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الْكُفْرِيَّاتِ وَالزُّنُوقَةِ، وَقَدْ كَثُرَ مُعْظَمُو هَذَا الرَّجُلِ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنْ غِلَاةِ الزُّنَادِقَةِ الْقَائِلَةِ بِالْوَحْدَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَ فِي أَدْيَانِنَا وَأَبْدَانِنَا (62).

من سورة مريم:

وفي تفسير قوله تعالى: (فَحَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَخْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)) [مريم: 11]: وَالْجُمهُورُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى أَنْ سَبِّحُوا صَلُّوا. وَقِيلَ أَمَرَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّسْبِيحِ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ كَانَ يُخْرَجُ عَلَى قَوْمِهِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا فَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ إِشَارَةً. وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ وَعِنْدِي فِي هَذَا مَعْنَى لَطِيفٌ وَهُوَ أَنَّهُ إِنَّمَا خُصَّ بِالتَّسْبِيحِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَأَى أَمْرًا عَجَبَ مِنْهُ أَوْ رَأَى فِيهِ بَدِيعَ صُنْعَةٍ أَوْ غَرِيبَ حِكْمَةٍ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ الْخَالِقِ، فَلَمَّا رَأَى حُصُولَ الْوَلَدِ مِنْ شَيْخٍ وَعَاقِرٍ عَجَبَ مِنْ ذَلِكَ فَسَبَّحَ وَأَمَرَ بِالتَّسْبِيحِ انْتَهَى (63).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64)) [مريم: 64]:

وفي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا الْأَحْزَةُ وَمَا خَلْفَنَا الدُّنْيَا رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ وَسُفْيَانٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَكْسُهُ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: مَا بَيْنَ أَيْدِينَا قَبْلُ أَنْ تُخْلَقَ وَمَا خَلْفَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعَكْرَمَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: جِبْنٌ كَوْنِنَا. وَقَالَ صَاحِبُ الْغِيَانِ: مَا بَيْنَ أَيْدِينَا نُزُولُ الْمَلَائِكَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا خَلْفَنَا مِنَ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. قَالَ ابْنُ الْقُشَيْرِيِّ مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ جُرَيْجٍ، ثُمَّ قَالَ: حَصَرَ الْأَرْزَمَةُ الثَّلَاثَةَ وَهِيَ أَنَّ كُلَّهَا لِلَّهِ هُوَ مُنْشِئُهَا وَمُدَبِّرُ أَمْرِهَا عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ تَقْدِيمٍ وَإِنْزَالٍ وَتَأْخِيرٍ انْتَهَى. وَفِيهِ بَعْضُ تَلْخِصٍ وَتَصَرُّفٍ (64).

من سورة الأنبياء:

وفي تفسير قوله تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10) ([الأنبياء: 10]: وَعَنْ سُفْيَانَ مَكَارِمَ أَخْلَاقِكُمْ وَمَحَاسِنِ أَعْمَالِكُمْ. وَقِيلَ: تَذَكُّرَةٌ لِيَتَحَذَّرُوا مَا لَا يَحِلُّ وَتَرْغَبُوا فِيهَا بِحَبِّ. وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: الَّذِي يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْآيَاتِ أَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ ذِكْرُ مَشَانِيكُمُ وَمَثَالِيكُمُ وما عاملتم به أنبياء الله من التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْآيَةُ دَمًا لَهُمْ وَلَيْسَتْ مِنْ تَعْدَادِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى سِيَاقِهِ وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ إِنْكَارًا عَلَيْهِمْ عَلَى إِهْمَالِهِمُ الْمُنْتَدِرِ وَالتَّفَكُّرِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى اقْتِضَاءِ الْعَقْلَةِ (65).

وفي تفسير قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43) ([الأنبياء: 43]: وفي التحرير: "مدارُ هذه الكلمة يعني يُصْحَبُونَ على معنيين أحدهما أنه من صَحِبَ يَصْحَبُ، والثاني من الإِصْحَابِ أَصْحَابِ الرَّجُلِ مَنْعُهُ مِنَ الْآفَاتِ (66).

من سورة المؤمنون:

في تفسير قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) ([المؤمنون: 1-4]

وفي التحرير: اختلف في الخشوع، هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين، والصحيح الأول ومحلُّ القلب، وهو أول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت (67).

وقيل: الزكاة هنا النماء والزيادة، واللام لام العلة ومعمول فاعلون مخدوف التقدير والذين هم لأجل تحصيل النماء والزيادة فاعلون الخير. وقيل: المصروف لا يسمى زكاة حتى يحصل بيد الفقير. وقيل: لا تسمى العين المخرجة زكاة، فكان التغيير بالفعل عن إخراج أولي منه بالأداء، وفيه رد على بعض زنادقة الأعاجم الأجانب عن ذوق العربية في قوله: ألا قال مؤدون، قال في التحرير والتخيير: وهذا كما قيل لا عقل ولا نقل، والكتاب العزيز نزل بأفصح اللغات وأصحها بلا خلاف.

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الأثر ... مة والفاعلون للزكوات

ولم يرد عليه أحد من فصحاء العرب ولا طعن فيه علماء العربية، بل جميعهم يحتجون به ويستشهدون انتهى (68).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) ([المؤمنون: 33]: وَقَوْلُهُ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ تَحْقِيقٌ لِلْبُشْرَةِ وَحُكْمٌ بِالنَّسَاطِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَنْ لَا مَرِيَّةَ لَهُ عَلَيْهِمْ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا مَوْصُولُهُ فِي قَوْلِهِ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَأَنْ الْعَائِدَ مَخْدُوفٌ تَقْدِيرُهُ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ لَوْجُودِ شَرَائِطِ الْحَدَفِ، وَهُوَ اتِّحَادُ الْمُتَعَلِّقِ وَالْمُتَعَلِّقِ كَقَوْلِهِ: مَرَرْتُ بِالَّذِي مَرَرْتُ، وَحَسَنَ هَذَا الْحَدَفُ وَرَجَحَهُ كَوْنُ تَشْرَبُونَ فَاصِلَةً وَلِدَلَالَةٍ مِنْهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَفِي التَّحْرِيرِ وَرَعْمُ الْفَرَاءِ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ عَلَى حَدَفٍ أَيْ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَدَفٍ أَلْبَتَّةَ لِأَنَّ مَا إِذَا كَانَتْ مُصَدَّرًا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى عَائِدٍ، فَإِنْ جَعَلْتَهَا بِمَعْنَى الَّذِي حَدَفْتَ الْمَفْعُولَ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى إِضْمَارٍ مِنْ أَنْتَهَى. يَعْنِي أَنَّهُ يَصِيرُ التَّقْدِيرُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، فَيَكُونُ الْمَخْدُوفُ ضَمِيرًا مُتَّصِلًا وَشَرْطُ جَوَازِ الْحَدَفِ فِيهِ مَوْجُودَةٌ، وَهَذَا تَحْرِيجٌ عَلَى قَاعِدَةِ الْبَصَرِيِّينَ إِلَّا أَنَّهُ يَفُوتُ فَصَاحَةُ مُعَادَلَةِ التَّرْكِيبِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ فَعَدَّاهُ بِمِنِ التَّبْعِيضِيَّةِ، فَالْمُعَادَلَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ، فَلَوْ كَانَ التَّرْكِيبُ مِمَّا تَأْكُلُونَهُ لَكَانَ تَقْدِيرُ تَشْرَبُونَ هُوَ الرَّاجِحُ (69).

من سورة النور:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) ([النور: 32]: وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْأَيَامَى وَالْيَتَامَى أَصْلُهُمَا أَيَّامٌ وَيَتَامٍ فَقُلِبَا أَنْتَهَى. وَفِي التَّحْرِيرِ قَالَ أَبُو عَمَرَ: أَيَّامَى مَقْلُوبُ أَيَّامٍ، وَغَيْرُهُ مِنَ النُّحَوِيِّينَ ذَكَرَ أَنَّ أَيَّامًا وَيَتِيمًا جُمِعَا عَلَى أَيَّامَى وَيَتَامَى شِدُودًا يُحْفَظُ وَوَرْنُهُ فَعَالَى، وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ سَبْيَوِيهِ. قَالَ سَبْيَوِيهِ فِي آخِرِ هَذَا بَابُ تَكْسِيرِكَ مَا كَانَ مِنَ الصِّفَاتِ. وَقَالُوا: وَجَّ وَجَّيَا كَمَا قَالُوا: زَمِنَ وَزَمْنَى فَاجْرُوهُ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا قَالُوا: يَتِيمٌ وَيَتَامَى وَأَيَّامٌ وَأَيَّامَى فَاجْرُوهُ مَجْرَى رَجَاعِي أَنْتَهَى. وَتَقَدَّمَ فِي الْمَفْرَدَاتِ الْأَيُّمُ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى. وَفِي شَرْحِ كِتَابِ سَبْيَوِيهِ لِأَبِي بَكْرٍ الْخَفَّافِ: الْأَيُّمُ الَّذِي لَا زَوْجَ لَهَا، وَأَصْلُهُ فِي الْيَتَامَى كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً فَفَقَدَتْ زَوْجَهَا بَرَزَ طَرَأَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنَ الْبَلَايَا، ثُمَّ قِيلَ فِي الْبُكْرِ مَجَازًا لِأَنَّهَا لَا زَوْجَ لَهَا أَنْتَهَى (70).

من سورة الشعراء:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) ([الشعراء: 198، 199]: وفي التحرير: الْأَعْجَمِينَ: جَمْعُ أَعْجَمٍ عَلَى التَّخْفِيفِ، وَلَوْلَا هَذَا التَّقْدِيرُ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُجْمَعَ جَمْعَ سَلَامَةٍ. قِيلَ: وَالْمَعْنَى وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ بِلُغَةِ الْعَجَمِ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ فَقَرَأَهُ عَلَى الْعَرَبِ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوهُ، وَاسْتَنْكَفُوا مِنْ اتِّبَاعِهِ. وَقِيلَ: وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى بَعْضِ الْعَجَمِ مِنَ الدَّوَابِّ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، لَمْ يُؤْمِنُوا، لِإِعْنَادِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ «1» الْآيَةَ، وَجَمْعُ جَمْعَ السَّلَامَةِ، لِأَنَّهُ وَصِفَ بِالْإِنْزَالِ عَلَيْهِ وَالْقِرَاءَةِ، وَهُوَ فِعْلٌ

الْعُقَلَاءُ. وَقِيلَ: وَلَوْ نَزَلَ عَلَى بَعْضِ الْبَهَائِمِ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ تُؤْمِنْ الْبَهَائِمُ، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ لِأَتَهُمْ: كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا «2» انْتَهَى (71).

من سورة النمل:

وفي تفسير قوله تعالى: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) (22) [النمل: 22] وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: مِنْ سَبَأٍ، بِكسر الهمزة من غير تنوين، حكاها عنه ابنُ خالويه وابنُ عطية، وَيَبْعُدُ تَوْحِيْهُهَا. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ مِنْ سَبَأٍ، بِتَنْوِينِ الْبَاءِ عَلَى وَزْنِ رَحَى، جَعَلَهُ مَقْصُورًا مَصْرُوفًا. وَذَكَرَ أَبُو مُعَاذٍ أَنَّهُ قَرَأَ مِنْ سَبَأٍ: بِسُكُونِ الْبَاءِ وَهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ غَيْرِ مُنَوَّنَةٍ، بَنَاهُ عَلَى فَعْلَى، فَأَمْتَنَعَ الصَّرْفَ لِلتَّأْنِيثِ اللَّازِمِ. وَرَوَى ابْنُ حَبِيبٍ، عَنِ الْبُزْيَدِيِّ: مِنْ سَبَأٍ، بِالْفِ عِلَّةٍ سَاكِنَةٍ، كَقَوْلِهِمْ: تَقَرَّفُوا أَيْدِي سَبَأٍ. وَقَرَأَتْ فَرَقَةُ بَنِي، بِالْفِ عِلَّةٍ عَوَضَ الْهَمْزَةَ، وَكَانَتْهَا قِرَاءَةً مَنْ قَرَأَ: لِسَبَا، بِالْألفِ، لِيَتَوَارَنَ الْكَلِمَتَانِ، كَمَا تَوَارَنَتْ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا بِالْهَمْزَةِ الْمَكْسُورِ وَالتَّنْوِينِ. وَقَالَ فِي التَّخْرِيرِ: إِنَّ هَذَا النَّوعُ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ يُسَمَّى بِالتَّرْدِيدِ، وَفِي كِتَابِ التَّفْرِيعِ يَقُولُونَ الْبَدِيعِ.

إِنَّ التَّرْدِيدَ رَدُّ أَعْجَازِ الْبُيُوتِ عَلَى صُدُورِهَا، أَوْ رَدُّ كَلِمَةٍ مِنَ النَّصْفِ الْأَوَّلِ إِلَى النَّصْفِ الثَّانِي، وَيُسَمَّى أَيْضًا التَّصْدِيرَ، فَمِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَجْبُرُ كَسْرَهُ ... وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ الْخَنَاءِ بِسَرِيعٍ

وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ:

وَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتُمْ طَوَالَ ... وَاللَّيَالِي إِذَا دَنَوْتُمْ قِصَارُ (72)

من سورة القصص:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (60) [القصص: 60]:

(أَفَلَا تَعْقِلُونَ): تَوْبِيخٌ لَهُمْ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: يَعْقِلُونَ، بِالْيَاءِ، إِعْرَاضٌ عَنْ خُطَابِهِمْ وَخُطَابِ لِعِزِّهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: انظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ وَسَخَافَةِ عَقُولِهِمْ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: بِالتَّاءِ مِنْ فَوْقٍ، عَلَى خُطَابِهِمْ وَتَوْبِيخِهِمْ، فِي كَوْنِهِمْ أَهْمَلُوا الْعَقْلَ فِي الْعَاقِبَةِ. وَنَسَبَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْحُجَّةِ إِلَى أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ، وَفِي التَّخْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ بَيْنَ الْيَاءِ وَالتَّاءِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو (73).

من سورة العنكبوت:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (8) [العنكبوت: 8]: وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ الْأَصْلُ بِخَيْرٍ، وَهُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي. وَالْبَاءُ فِي بَوَالِدَيْهِ وَفِي الْحَمَاةِ وَبِالْكَسْبِ طَرْفِيَّةٌ بِمَعْنَى فِي، أَيْ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَمْرٍ وَالدَّيْهِ بِخَيْرٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي فِي قَوْلِهِ: بَوَالِدَيْهِ، وَيَنْتَصِبُ حُسْنًا بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ: يَحْسُنُ حُسْنًا، وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْمَصْدَرِ. وَفِي التَّخْرِيرِ: حُسْنًا نَصَبَ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ عَلَى التَّكْرِيرِ، أَيْ وَصَّيْنَاهُ حُسْنًا، وَقِيلَ: عَلَى الْقَطْعِ، تَقْدِيرُهُ: وَوَصَّيْنَا بِالْحُسْنِ، كَمَا تَقُولُ: وَصَّيْتُهُ خَيْرًا، أَيْ بِالْخَيْرِ، وَيَعْنِي بِالْقَطْعِ عَنْ حَرْفِ الْجَرِّ، فَانْتَصَبَ. وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ حُسْنًا، فَيَقْدَرُ لَهُ فِعْلٌ. انْتَهَى. وَفِي هَذَا الْقَوْلِ حَذْفٌ أَنْ وَصَلَتْهَا وَإِقَاءُ الْمَعْمُولِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ (74).

من سورة الروم:

وفي تفسير قوله تعالى: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) (18) [الروم: 17، 18]: كَانَ الْحَسَنُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فُرِضَتْ الْخُمْسُ بِالْمَدِينَةِ. وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: بَلْ فُرِضَتْ بِمَكَّةَ وَفِي التَّخْرِيرِ، اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ دَاخِلَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (75).

من سورة لقمان:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (6) [لقمان: 6]: وَقَالَ صَاحِبُ التَّخْرِيرِ: وَيُظْهِرُ لِي أَنَّهُ أَرَادَ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ: مَا كَانُوا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي تَقْوِيَةِ دِينِهِمْ، وَالْأَمْرُ بِالدَّوَامِ عَلَيْهِ، وَتَفْسِيرُ صِفَةِ الرَّسُولِ، وَأَنَّ التَّوَرَاةَ تَذُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ، يَقْصِدُونَ صَدَّ أَتْبَاعِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَطْلَقَ اسْمَ الشِّرَاءِ لِكَوْنِهِمْ يَأْخُذُونَ عَلَى ذَلِكَ الرِّشَا وَالْجَعَالِ مِنْ مُلُوكِهِمْ، وَيُؤَيِّدُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أَيْ دِينِهِ. انْتَهَى، وَفِيهِ بَعْضُ حَذْفٍ وَتَلْخِصٍ (76).

من سورة السجدة:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (21) [السجدة: 21]: قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: لَا خِلَافَ أَنَّهُ عَذَابُ الْآخِرَةِ. وَفِي التَّخْرِيرِ وَكَثُرَتْهُمْ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ (77).

من سورة الأحزاب:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُرَّاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) (53) [الأحزاب: 53]: وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: انْتَهَى أَنْ نُكَلِّمَ بَنَاتِ عَمَّا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؟ لِيَنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لِأَتَرَوْجَنَ فَلَانَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبَعْضُ

الصَّحَابَةِ: وَفُلَانُهُ عَائِشَةُ. وَحَكَى مَكِّي عَنْ مَعْمَرٍ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا عِنْدِي لَا يَصِحُّ عَلَى طَلْحَةَ فَإِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنْهُ. وَفِي التَّحْرِيرِ أَنَّهُ طَلْحَةُ، فَتَرَلْتُ: وَلَا أَنْ تَنْكَحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا، فَتَابَ وَأَعْتَقَ رَقَبَةً، وَحَمَلَ عَلَى عَشْرَةِ أَبْعَرَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَجَّ مَاشِيًا (78).

من سورة سبأ:

وفي سورة سبأ: هَذِهِ السُّورَةُ، قَالَ فِي التَّحْرِيرِ، مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِهِمْ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ: وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: مَدَنِيَّةٌ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَشْبَاهِهِ. انْتَهَى (79).

وفي سورة سبأ أيضا: (قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) (سبأ: 19): وَقَالَ قَتَادَةُ: فَرَفْنَاهُمْ بِالتَّبَاعِدِ. وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: جَعَلْنَاهُمْ ثُرَابًا تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: غَسَّانٌ بِالشَّامِ، وَأَنْمَارٌ بِبِثْرَبَ، وَجَذَامٌ بِبِهَامَةَ، وَالْأَرْدُ بِعُمَانَ وَفِي التَّحْرِيرِ وَقَعَ مِنْهُمْ فُضَاعَةٌ بِمَكَّةَ، وَأَسَدٌ بِالْبَحْرَيْنِ، وَخُرَاعَةٌ بِبِهَامَةَ (80).

من سورة فاطر:

وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الطَّاغُوتُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40) (فاطر: 40): قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ، قَالَ الْحَوْفِيُّ: أَلَفُ الْإِسْتِفْهَامِ ذَلِكَ لِلتَّقْرِيرِ، وَفِي التَّحْرِيرِ: أَرَأَيْتُمْ: الْمُرَادُ مِنْهُ أَخْبِرُونِي، لِأَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ يَسْتَدْعِي ذَلِكَ. يَقُولُ الْقَائِلُ: أَرَأَيْتَ مَاذَا فَعَلَ زَيْدٌ؟ فَيَقُولُ السَّامِعُ: بِنَاعٍ وَاشْتَرَى، وَلَوْ لَا تَضَمُّنُهُ مَعْنَى أَخْبِرُونِي لَكَانَ الْجَوَابُ نَعَمْ أَوْ لَا. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَرَأَيْتُمْ يَنْزِلُ عِنْدَ سَبِيحِيهِ مَنْزِلَةً أَخْبِرُونِي (81).

من سورة ص:

وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) (ص: 67): وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: سَبَاقُ الْآيَةِ وَظَاهِرُهَا أَنَّهُ يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، مَا قَصَّه اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُنَاطَرَةِ أَهْلِ النَّارِ وَمُقَاوَلَةِ الْأَتْبَاعِ مَعَ السَّادَاتِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَعْثِ، وَقَرِيشَ كَانَتْ تُكْزِرُ الْبَعْثَ وَالْجَسَابَ وَالْعَقَابَ، وَهُمْ عَنْ ذَلِكَ مُعْرِضُونَ. وَقَوْلُهُ: مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ: احْتِجَاجٌ عَلَى قُرَيْشٍ بِأَنْ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ. فَإِنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُ عِلْمٌ بِمَنْ فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِ الْمُغَيَّبَاتِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمُهُ بِأَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَابْتِدَاءِ خَلْقِ آدَمَ لَمْ يَكُنْ عَنْهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ فَإِخْبَارُهُ بِذَلِكَ هُوَ بِإِعْلَامِ اللَّهِ وَالْإِسْتِدْلَالُ بِقِصَّةِ آدَمَ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْبَشَرِ خَلَقًا، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْمَانٌ مُتَقَادِمَةٌ وَقُرُونٌ سَالِفَةٌ. انْتَهَى، وَفِي آخِرِهِ بَعْضُ اخْتِصَارِ (82).

من سورة الزمر:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر: 7]: قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: قُوَّةُ الْكَلَامِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى تَشْكُرُوا: تُوْمِنُوا حَتَّى يَصِيرَ بِإِزَاءِ الْكُفْرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَمَّى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالطَّاعَاتِ شُكْرًا فِي قَوْلِهِ: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا. «1» انْتَهَى (83).

من سورة غافر:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) (غافر: 28):

وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّحْبِيرِ: هَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ تُسَمِّيهِ عُلَمَاؤُنَا اسْتِدْرَاجَ الْمُخَاطَبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى، وَالْقَوْمَ عَلَى تَكْذِيبِهِ، أَرَادَ الْإِنْتِصَارَ لَهُ بِطَرِيقٍ يُخْفِي عَلَيْهِمْ بِهَا أَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ لَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَجَاءَهُمْ مِنْ طَرِيقِ النَّصِيحِ وَالْمَلَاطِفَةِ فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ، بَلْ قَالَ رَجُلًا يُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ وَلَا يَتَعَصَّبُ لَهُ، أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلَمْ يَقُلْ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ، أَوْ هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ، إِذْ لَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَعَلِمُوا أَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ. وَلَمْ يَقْبَلُوا قَوْلَهُ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِمَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدَّمَ قَوْلَهُ: وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا، مُوَافَقَةً لِرَأْيِهِمْ فِيهِ. ثُمَّ تَلَاهُ بِقَوْلِهِ: وَإِنْ يَكُ صَادِقًا، وَلَوْ قَالَ هُوَ صَادِقٌ وَكُلُّ مَا يَعِدْكُمْ، لَعَلِمُوا أَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ، وَأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ يُصَدِّقُهُ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُخْلُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُونَهُ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِكَلَامٍ يُفْهِمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُصَدِّقٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. انْتَهَى (84).

من سورة فصلت:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38) (فصلت: 37، 38): وَفِي التَّحْرِيرِ: كَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ يَسْجُدَانِ عِنْدَ تَعْبُدُونَ. وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ وَالشَّافِعِيُّ: عِنْدَ يَسْأَمُونَ،

وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَسَجَدَ عِنْدَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَأَبُو وَائِلٍ وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ مَسْرُوقٍ وَالسُّلَمِيِّ وَالْحَجَّيِّ وَأَبِي صَالِحٍ وَابْنِ سِيرِينَ. انْتَهَى مُلْحَصًا (85).

من سورة الجاثية:

وفي تفسير قوله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَحْمَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)) [الجاثية: 21]: وَقَدْ خَلَطَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي نَقْلِ الْقُرْآنِ، وَلَهُ بَعْضُ عُدْرِ. فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُعْرِبًا، فَقَالَ: وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ، وَعَبَسَى بِخِلَافٍ عَنْهُ: سَوَاءً بِالنَّصْبِ، مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ حَمْرَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَحَفْصٌ، وَالْأَعْمَشُ: سَوَاءً بِالنَّصْبِ، مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بِالنَّصْبِ وَوَجْهٌ كُلًّا مِنَ الْقَرَأَتَيْنِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ صَنْعَةُ الْإِعْرَابِ، وَتَبَعَهُ عَلَى هَذَا الْوَهْمِ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ، وَهُوَ مَعْدُورٌ، لِأَنَّهُ نَاسِخٌ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ وَالصَّوَابُ مَا اسْتَبْنَاهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ لِمَنْ ذَكَرْنَا (86).

من سورة ق:

وفي سورة ق: هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ. وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةً، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) الْآيَةَ. وَمُنَاسِبَتُهَا لِأَخْرِ مَا قَبْلَهَا، أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا، لَمْ يَكُنْ إِيْمَانُهُمْ حَقًّا، وَإِنْفَاءُ إِيْمَانِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى إِنْكَارِ نُبُوءَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذَرٌ. وَعَدَمُ الْإِيْمَانِ أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى إِنْكَارِ الْبُعْثِ، فَلِذَلِكَ أَعْقَبَهُ بِهِ. وَقِ حَرْفُ هِجَاءٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَذْلُومِهِ عَلَى أَحَدٍ عَشَرَ قَوْلًا مُتَعَارِضَةً، لَا دَلِيلَ عَلَى صِحَّةِ شَيْءٍ مِنْهَا، فَاطْرَحْتُ نَقْلَهَا فِي كِتَابِي هَذَا (87).

من سورة النجم:

وفي تفسير قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19)) [النجم: 19]: اللَّاتُ: وَفِي التَّحْرِيرِ: أَنَّهُ كَانَ صَمًّا تُعْظِمُهُ الْعَرَبُ (88).

من سورة الرحمن:

فَالْمَشْرِقَانِ وَالْمَغْرِبَانِ لِلشَّمْسِ. وفي تفسير قوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)) [الرحمن: 17] وَقِيلَ: الْمَشْرِقَانِ: مَطْلَعُ الْفَجْرِ وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ، وَالْمَغْرِبَانِ: مَغْرِبُ الشَّمْسِ وَمَغْرِبُ الشَّمْسِ. وَلِسَهْلِ التَّسْتَرِي كَلَامٌ فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ شَبِيهٌ بِكَلَامِ الْبَاطِنِيَّةِ الْمُحَرِّفِينَ مَذْلُولَ كَلَامِ اللَّهِ، ضَرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهِ صَفْحًا. وَكَذَلِكَ مَا وَفَّقْنَا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْعُلَاةِ الَّذِينَ يُنْسَبُونَ لِلصُّوفِيَّةِ، لِأَنَّا لَا نَسْتَجِلُّ نَقْلَ شَيْءٍ مِنْهُ. وَقَدْ أَوْلَعَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ بِحَسَبِ مَا قَالَهُ هُوَ لَا الْعُلَاةُ فِي كُلِّ آيَةٍ آيَةً، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْحَقَائِقُ، وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ وَمَا ادَّعَوْا فَهَمُّهُ فِي الْقُرْآنِ فَأَعْلَوْا فِيهِ، لَمْ يَفْهَمُهُ عَرَبِيٌّ قَطُّ، وَلَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْأَلْفَافِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ (89).

من سورة الممتحنة:

وفي تفسير قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)) [الممتحنة: 8]: وَفِي التَّحْرِيرِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ نُفَيْلَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ أَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَدِمَتْ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي فِيهَا الْهُدْنَةُ وَأَهْدَتْ إِلَى أَسْمَاءَ قُرْطًا وَأَشْيَاءَ، فَكَرِهَتْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا، فَزَلَّتِ الْآيَةُ (90).

من سورة التحريم:

وفي تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)) [التحريم: 1]: وَفِي التَّحْرِيرِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ: إِنَّ نَوَى الطَّلَاقِ فَوَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ، أَوْ اثْنَتَيْنِ فَوَاحِدَةً، أَوْ ثَلَاثًا فَثَلَاثٌ، أَوْ لَمْ يَبْنُ شَيْئًا فَيَمِينٌ وَهُوَ مُوَلٌّ، أَوْ الظَّهَارَ فَظَهَارٌ. وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: لَا تَنْفَعُهُ نِيَّةُ الظَّهَارِ وَيَكُونُ طَلَاقًا (91). وفي تفسير قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ (10)) [التحريم: 10]: "... فَخَانَتَاهُمَا، وَذَلِكَ بِكُفْرِهِمَا وَقَوْلِ امْرَأَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ مَجْنُونٌ، وَنَمِيمَةُ امْرَأَةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَصْيَافِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ: لَمْ تَزِنْ امْرَأَةُ نَبِيِّ قَطُّ، وَلَا ابْتُلِيَ فِي نِسَائِهِ بِالزِّنَا. قَالَ فِي التَّحْرِيرِ: وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَفِي كِتَابِ ابْنِ عَطِيَّةٍ (92).

من سورة الملك:

وفي تفسير قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَمُورُ (16)) [الملك: 16]: وَقِيلَ: مَنْ بِمَعْنَى عَلَى، وَيُرَادُ بِالْعُلُوِّ الْقَهْرُ وَالْفُتْرَةُ لَا بِالْمَكَانِ، وَفِي التَّحْرِيرِ: الْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى الْإِسْتِقْرَارِ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ لَا يَقُولُ بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ (93).

من سورة نوح:

وفي تفسير قوله تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (13) [نوح: 13]: وفي التحرير: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ ثَوَابًا وَلَا تَخَافُونَ عِقَابًا، وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ: مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ: مَا لَكُمْ لَا تُبَالُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً. قَالَ قُطْرُبٌ: هَذِهِ لَعْنَةٌ حَازِيَةٌ، وَهَذِيلٌ وَخِرَاعَةٌ وَمُضِرٌّ يَقُولُونَ: لَمْ أَرْجُ: لَمْ أَبَالِ. انْتَهَى (94).

من سورة القيامة:

وفي تفسير قوله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) [القيامة: 16، 17]: وفي (التحرير والتخبر): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ: أَيُّ جَفْظُهُ فِي حَيَاتِكَ، وَقُرْآنُهُ: تَأْلِيْفُهُ عَلَى لِسَانِكَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تُنْبِئُهُ فِي قَلْبِكَ بَعْدَ جَمْعِهِ لَكَ. وَقِيلَ: جَمْعُهُ بِإِعَادَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَنْ يَنْبُتَ فِي صَدْرِكَ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، فَاسْتَمِعْ قِرَاءَتَهُ، وَعَنْهُ أَيْضًا: فَإِذَا يُتْلَى عَلَيْكَ فَاتَّبِعْ مَا فِيهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: فَاتَّبِعْ حَلَالَهُ وَاجْتَنِبْ حَرَامَهُ. وَقَدْ نَمَقَ الرَّمَحْشَرِيُّ بِحُسْنِ إِبْرَاهِيمَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لُفِّنَ الْوَحْيُ، نَارَعَ جَبْرِيلَ الْقِرَاءَةَ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى أَنْ يُيَمِّمَهَا مُسَارَعَةً إِلَى الْجَفْظِ وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَقَلَّتْ مِنْهُ، فَأَمَرَ بِأَنْ يَسْتَنْصِتَ لَهُ مُلْقِيًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ وَسَمِعَهُ حَتَّى يُفْضَى إِلَيْهِ وَحْيُهُ، ثُمَّ يُعْقِبُهُ بِالْإِرْسَاءِ إِلَى أَنْ يَرْسَخَ فِيهِ. وَالْمَعْنَى: لَا تُحَرِّكْ لِسَانَكَ بِقِرَاءَةِ الْوَحْيِ مَا دَامَ جَبْرِيلُ يَقْرَأُ. لِتَعْجَلَ بِهِ: لِتَأْخُذَهُ عَلَى عَجَلَةٍ وَلِيْلَّا يَتَقَلَّتْ مِنْكَ، ثُمَّ عَلَلِ النَّهْيَ عَنِ الْعَجَلَةِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ وَإِثْبَاتِ قِرَاءَتِهِ فِي لِسَانِكَ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ: جَعَلَ قِرَاءَةَ جَبْرِيلَ قِرَاءَتَهُ، وَالْقُرْآنُ الْقِرَاءَةُ، فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ: فَكُنْ مُقْفِيًا لَهُ فِيهِ وَلَا تُرَاسِلْهُ، وَطَامِنْ نَفْسَكَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى غَيْرَ مَحْفُوظٍ، فَتَحْنُ فِي ضَمَانٍ تَحْفِظُهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ: إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ، كَأَنَّهُ كَانَ يَعْجَلُ فِي الْجَفْظِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الْمَعْنَى جَمِيعًا، كَمَا تَرَى بَعْضَ الْحَرَاصِ عَلَى الْعِلْمِ وَنَحْوِهِ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ. انْتَهَى (95).

من سورة المدثر:

وفي سورة المدثر قال أبو حيان: هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ بِإِجْمَاعٍ. وَفِي (التحرير): قَالَ مُقَاتِلٌ: إِلَّا آيَةً وَهِيَ: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً) (96).

من سورة الشمس:

في تفسير قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) [الشمس: 1]: قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمَذْكُورَةَ اسْتِعَارَاتٌ فِي كُلِّ ابْنِ آدَمَ وَأَحْوَالِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ. فَالشَّمْسُ نَفْسُهُ، وَالنُّجُومُ عَيْنَاهُ وَحَوَاسُّهُ، وَهَذَا قَوْلٌ ذَاهِبٌ إِلَى إِثْبَاتِ الرُّمُوزِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى. وَهَذَا مَذْهَبُ الْبَاطِنِيَّةِ، وَمَذَاهِبُ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ غَلَاةِ الصُّوفِيَّةِ، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَيْهِمْ فِي خُطْبَةِ هَذَا الْكِتَابِ وَإِنَّمَا هُوَ لَاءٌ زَنَادِقَةٌ تَسْتَرُوا بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ. وَكِتَابُ اللَّهِ جَاءَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لَا رَمَزَ فِيهِ وَلَا لُغْزَ وَلَا بَاطِنَ، وَلَا إِبِمَاءَ لِشَيْءٍ مِمَّا تَنْتَجِلُهُ الْفَلَاسِفَةُ وَلَا أَهْلُ الطَّبَائِعِ. وَلَقَدْ ضَمَّنَ تَفْسِيرُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ خَطِيبِ الرَّيِّ أَشْيَاءَ مِمَّا قَالَهُ الْحُكَمَاءُ عِنْدَهُ وَأَصْحَابُ النُّجُومِ وَأَصْحَابُ الْهَيْئَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَعْزَلٍ عَنْ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ فِي آخِرِ مَا يُفَسِّرُهُ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامٍ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى الصُّوفِ وَيُسَمِّيهِمَا الْحَقَائِقَ، وَفِيهَا مَا لَا يَجِلُّ كِتَابَتُهُ، فَضَّلَا عَنْ أَنْ يُعْتَقَدَ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ فِي دِينِنَا وَعَقَائِدِنَا وَمَا بِهِ قَوَامُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا (97).

من سورة الفجر:

وفي تفسير قوله تعالى: (وَالشَّعْغُ وَالْوُثْرُ) [الفجر: 3]: ذَكَرَ فِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّخْبِيرِ فِيهَا سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا ضَجَرْنَا مِنْ قِرَاءَتِهَا فَضَّلَا عَنْ كِتَابَتِهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا (98). وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) [الفجر: 6]: كَأَنَّ مَعْنَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ: كَيْفَ أَهْلَكَ عَادًا كَهْلَاكَ ذَاتَ الْعِمَادِ. وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ ذَاتَ الْعِمَادِ مَدِينَةٌ ابْتَنَاهَا شَدَادُ بْنُ عَادٍ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ عَلَى أَوْصَافٍ بَعِيدٍ، أَوْ مُسْتَجِيلٍ عَادَةً أَنْ يُبْنَى فِي الْأَرْضِ مِثْلَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهَا صَيْحَةً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَيُوقَفُ عَلَى قِصَّتِهِمْ فِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَشَيْءٌ مِنْهَا فِي الْكُشَافِ (99).

من سورة البينة:

وفي تفسير سورة البينة: وَفِي كِتَابِ التَّحْرِيرِ: مَدِينَةٌ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ (100).

من سورة الكوثر:

وفي تفسير سورة الكوثر: وَذَكَرَ فِي التَّحْرِيرِ: فِي الْكَوْثَرِ سِتَّةٌ وَعِشْرِينَ قَوْلًا، وَالصَّحِيحُ هُوَ مَا فَسَّرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَافُوتِ، تَرْتَبِهَ أَطْيَبُ مِنَ الْمُسْكِ، وَمَاؤُهُ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ التَّلَجِ.» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَافْتِطَعْنَا مِنْهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: نَهَرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ» انْتَهَى. قَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ وَقَرَأَهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ. وَقِيلَ لِابْنِ جُبَيْرٍ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْكُوثَرُ: الْفُرَانُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبَّاسٍ وَيَمَانُ بْنُ وَثَابٍ: كَثُرَةُ الْأَصْحَابِ وَالْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَافٍ: هُوَ التَّوْحِيدُ⁽¹⁰¹⁾.

من سورة الصمد:

وفي تفسير سورة الصمد: في كلمة (الصمد): وفي كتاب التحرير أقوالٌ غيرُ هذه لا تساعدُ عليها اللغة⁽¹⁰²⁾.

الوجه الثالث -كون اللفظ أو التركيب أحسن وأصح: ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع. وقد صنف الناس في ذلك تصنيفات كثيرة، وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجي، مقيم تونس، المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء. وقد أخذت جملة من هذا الفن عن أستاذنا أبي جعفر بن الزبير، رحمه الله تعالى⁽¹⁰³⁾.

-الخاتمة-

- ضاعت الكثير من كتب التراث، وضاع معها علم جمّ وأدب وفنّ، بسبب عوامل كثيرة؛ كالحروب والصراعات الدينية والمذهبية، والخلافات السياسية، وقف المحققون واللاحقون أمام هذا التراث المفقود بعين الحسرة واليأس والرتاء، والحال يقتضي بذل المستطاع لاستخراجه وتحقيقه ودراسته، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه منه، وبطبيعة الحال فإن هذا يقتضي منهجا مغايرا للمألوف في تحقيق النصوص ونشرها، لأنهم لما ينسوا من العثور على مخطوطات ذلك التراث المفقود حكموا باستحالة الوصول إليه، ومعنى هذا أننا نستطيع إيجاد بعض النصوص المفقودة في كتب التراث التي جاءت بعدها واقتبست منها، فترتفع عن تلك النصوص حكم الفقد إلى حكم الندرة.

- علمنا بوجود تفسير ضخم ناهز المائة مجلد في القرن السابع الهجري، والموسوم بـ: (التحرير والتحبير لأئمة أقوال أهل التفسير في معاني كلام السميع البصير) لابن النقيب المقدسي (ت698هـ)، وهو في حكم المفقود؛ إلا بعض أجزائه وقطعه المتناثرة هنا وهناك لا تبلغ معشار ما ضاع منه، ويبدو أنه لكبر حجمه تفرقت أجزاؤه في وقت مبكر بعد تأليفه.

- اكتشفنا هذا التفسير من خلال اقتباسات أبي حيان الأندلسي (ت745هـ) منه في تفسيره (البحر المحيط)؛ وهو تلميذ المؤلف، وشاهد عيان بلغة العصر على تأليف شيخه ابن النقيب لتفسيره (التحرير والتحبير).

- لاحظنا اعتناء أبي حيان بتفسير شيخه ابن النقيب من خلال اعتماده عليه؛ كونه من مصادر تفسير (البحر المحيط)؛ فقد ذكره في ما يناهز الثمانين موضعا، وتنوعت تلك النصوص المقتبسة بين نصوص طويلة وقصيرة وإشارات، ويبدو أن أبا حيان هو الوحيد من اقتبس من تفسير شيخه ابن النقيب في ما عثرنا عليه، ولذلك حكمنا على نصوص ابن النقيب بالندرة، ويرجع ذلك في رأينا إلى ملاقة أبي حيان لشيخه ابن النقيب، وشهوده لتأليف تفسير (التحرير والتحبير)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى علمنا بضياح هذا التفسير في وقت مبكر بعد تأليفه، وهذا يُفسر قلة الاقتباسات منه.

- ناهز حجم النصوص المقتبسة من تفسير (التحرير والتحبير) نحو كراسة، ما جعلنا نجمعها في هذا البحث، ونحققها وننشرها فيه، على أمل نشرها مستقبلا مع دراسة وافية في كتاب مستقل؛ يستفيد منه المهتمون بالموضوع.

- عرّفنا بابن النقيب المقدسي، وهو على علو شأنه بقي مغمورا لم ينل حظّه من الدراسة والاهتمام اللائق بمقامه العلمي.

- اعتمدنا على التتبع والاستقراء؛ بتتبع تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، واستقراء نصوصه، واستخراجها، ثم تبويبها بحسب ورودها مرتبة بترتيب سور القرآن الكريم.

- نعتقد أننا أنقذنا بعض النصوص النادرة من تفسير (التحرير والتحبير)؛ تصلح لكشف بعض جوانب منهجه في التأليف، ومذهبه في التفسير، كما تصلح للمقابلة والتوثيق لتحقيق بعض قطعه وأجزائه، والله وحده الموفق.

- المراجع والمصادر:

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الاجتماعية، حمص، ودار الإمامة ودار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط4، 1415هـ.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

- أعيان العصر وأعيان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، تح: علي أبو زيد وآخرون، قدّم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1998م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفدا إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1997م.
- تاج التراجم، أبو الفدا زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت 879)، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط 1، 1992م.
- تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2003م.
- التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب، أطروحة دكتوراه، إعداد: عبير فائق أحمد جمال حريري، إشراف: غالب الحامضي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1440هـ.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين السيّد الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دت.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي، مير محمد كتبخانه، كراتشي، دت.
- ديوان الإسلام، أبو المعالي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م.
- الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)، حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2017م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت 1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط 3، 1985م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ)، تح: محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1986م.
- طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1396هـ.
- فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1974م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، المنسوب إلى شمس الدين ابن قيم الجوزية، غني بتصحيحه: محمد بدر الدين الغساني، ط 1، 1327هـ، مطبعة السعادة، مصر.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
- معجم الشيوخ الكبير، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط 1، 1408هـ/1988م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدیع وإعجاز القرآن، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان البلخي الحنفي الشهير بابن النقيب، تحقيق: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرحه وعلق عليه: سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م.
- الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، ط 1، 1405هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، وكالة المعارف الجليلية، إستانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م.
- التحرير والتحرير، محمد عناد سليمان، موقع رابطة الكتاب السوريين، الرابط: http://syrianrevolutionwriters.blogspot.com/2015/02/blog-post_25.html، يوم 22:45، 2022/08/19.

الهوامش :

1. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج23 ص117، وتاريخ الإسلام للذهبي، ج14 ص430، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج7 ص773، وديوان الإسلام للغزي، ج4 ص344، والجواهر المضنية لمحيي الدين الحنفي، ج2 ص410، وتاج التراجم لابن قطلوبغا، ج1 ص260، 261، والأعلام للزركلي، ج6 ص150، وهدية العارفين، ج2 ص139.
2. فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974م، ج3 ص383.
3. تاج التراجم، أبو الفدا زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت879هـ)، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م، ج1 ص260، 261.
4. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1 ص22.
5. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط3، 1985م، ج23 ص117. وتاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ج14 ص430. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي (ت1089هـ)، تح: محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986م، ج7 ص773.
6. هدية العارفين، ج2 ص139.
7. مقدمة تفسير ابن القيم في علم البيان والمعاني والبدائع وإعجاز القرآن، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان البلخي الحنفي الشهير بابن القيم، تحقيق: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص58 (هامش المحقق). والهامش الأصلي في ص27.
8. انظر: المرجع نفسه، ص645-653.
9. انظر: المرجع نفسه، ص112-138.
10. الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي، مير محمد كتبخانه، كراتشي، دت، ج2 ص410.
11. هدية العارفين، ج2 ص139.
12. الأعلام، ج6 ص150.
13. ديوان الإسلام، أبو المعالي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج4 ص344.
14. معجم الشيوخ الكبير، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1408هـ/1988م، ج2 ص193.
15. طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ، ص101.
16. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، ط1، 1405هـ، ج9 ص37.
17. البداية والنهاية، أبو الفدا إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م، ج17 ص713.
18. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، وكالة المعارف الجليلية، إستانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، ج2 ص139.
19. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م، ج1 ص358.
20. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج10 ص49.
21. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج6 ص150.
22. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج1 ص7.
23. المهدب فيما وقع في القرآن من المعرب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرحه وعلق عليه: سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ص28.
24. الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)، حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2017م، ص127، 128.
25. التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب، أطروحة دكتوراه، إعداد: عبير فائق أحمد جمال حريري، إشراف: غالب الحامضي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1440هـ، ص32.

26. المرجع نفسه، ص85، 86.
27. البحر المحيط، ج1 ص22.
28. المرجع السابق، ج3 ص546.
29. المرجع نفسه، ج3 ص728.
30. المرجع نفسه، ج4 ص112.
31. المرجع نفسه، ج4 ص530.
32. البحر المحيط، ج4 ص575، 576.
33. المرجع نفسه، ج5 ص33.
34. المرجع نفسه، ج5 ص54.
35. المرجع نفسه، ج5 ص47.
36. المرجع نفسه، ج5 ص62.
37. البحر المحيط، ج5 ص65، 66.
38. المرجع نفسه، ج5 ص153.
39. المرجع نفسه، ج5 ص198.
40. المرجع نفسه، ج5 ص292.
41. المرجع نفسه، ج5 ص294.
42. المرجع نفسه، ج5 ص392.
43. المرجع نفسه، ج5 ص398.
44. البحر المحيط، ج5 ص404، 405.
45. المرجع نفسه، ج5 ص441.
46. المرجع نفسه، ج5 ص442.
47. المرجع نفسه، ج5 ص500.
48. البحر المحيط، ج6 ص27.
49. المرجع نفسه، ج6 ص39.
50. المرجع نفسه، ج6 ص100.
51. المرجع نفسه، ج6 ص124.
52. المرجع نفسه، ج6 ص218، 219.
53. المرجع نفسه، ج6 ص253.
54. البحر المحيط، ج6 ص318.
55. المرجع نفسه، ج6 ص479.
56. المرجع نفسه، ج7 ص75.
57. المرجع نفسه، ج7 ص44.
58. المرجع نفسه، ج7 ص107.
59. المرجع نفسه، ج7 ص126.
60. البحر المحيط، ج7 ص145.
61. المرجع نفسه، ج7 ص148.
62. المرجع نفسه، ج7 ص216.
63. المرجع نفسه، ج7 ص245. وفي روح البيان للألوسي، ج8 ص391: "وقال صاحب التحرير والتحبير: عندي في هذا معنى لطيف وهو أنه إنما خص التسبيح بالذكر لأن العادة جارية أن كل من رأى أمراً عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول: سبحان الله تعالى سبحان الخالق جل جلاله فلما رأى حصول الولد من شيخ وعافر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح".
64. المرجع نفسه، ج7 ص281، 282. وفي (روح البيان) للألوسي، ج8 ص431: "وفي كتاب التحرير والتحبير ما بين الأيدي الآخرة وما خلف الدنيا، ورواه العوفي عن ابن عباس وبه قال ابن جبير وقتادة ومقاتل وسفيان، وقال الأخفش: ما بين الأيدي هو ما قبل الخلق وما خلف هو ما بعد الفناء وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة فالمئات على هذه الأقوال من الزمان".
65. المرجع نفسه، ج7 ص412.
66. البحر المحيط، ج7 ص433.
67. المرجع نفسه، ج7 ص547.
68. المرجع نفسه، ج7 ص547.
69. المرجع نفسه، ج7 ص559.
70. المرجع نفسه، ج8 ص38.
71. البحر المحيط، ج8 ص191.
72. المرجع نفسه، ج8 ص226.
73. المرجع نفسه، ج8 ص317.
74. المرجع نفسه، ج8 ص343. ونقله ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998م، ج15 ص397.
75. المرجع نفسه، ج8 ص381.
76. المرجع نفسه، ج8 ص410.
77. البحر المحيط، ج8 ص439.

78. المرجع نفسه، ج8 ص500.
79. المرجع نفسه، ج8 ص517.
80. المرجع نفسه، ج8 ص539.
81. المرجع نفسه، ج9 ص37.
82. المرجع نفسه، ج9 ص172.
83. المرجع نفسه، ج9 ص187.
84. البحر المحيط، ج9 ص253.
85. المرجع نفسه، ج9 ص308.
86. المرجع نفسه، ج9 ص421.
87. المرجع نفسه، ج9 ص528.
88. المرجع نفسه، ج10 ص15.
89. المرجع نفسه، ج10 ص59.
90. البحر المحيط، ج10 ص156، 157.
91. المرجع نفسه، ج10 ص208.
92. المرجع نفسه، ج10 ص215.
93. المرجع نفسه، ج10 ص227.
94. المرجع نفسه، ج10 ص283.
95. المرجع نفسه، ج10 ص349.
96. المرجع نفسه، ج10 ص324.
97. البحر المحيط، ج10 ص115. وذكرها الألويسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج15 ص335.
98. المرجع نفسه، ج10 ص470. ونقلها محيي الدين درويش (ت1403هـ) عن أبي حيان في: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الاجتماعية، حمص، ودار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط4، 1415هـ، ج10 ص466.
99. المرجع نفسه، ج10 ص472.
100. المرجع نفسه، ج10 ص518.
101. المرجع نفسه، ج10 ص556.
102. المرجع نفسه، ج10 ص571.
103. المرجع نفسه، ج1 ص15.